سياق الحديث عن الإنفاق في سبيل اللّه
في آيات سورة البقرة
دراسة بلاغية

د/ فهمي فهمي زينهم الدرشابي

مدرس البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

(العدد الرابع والثلاثون)

(الإصدار الثاني .. أكتوبر)

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م)

سياق الحديث عن الإنفاق في سبيل اللّه في آيات سورة البقرة دراسة بلاغية

فهمي فهمي زينهم الدرشابي
قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: fahmyeldershaby@gmail.com

ملخص البحث:

انفردت سورة البقرة باسترسال الحديث عن الإنفاق في سبيل الله بما لا وجود له سورة أخرى؛ حيث تتابعت الآيات في هذا السياق من الآية مائتين وإحدى وستين، إلى الآية مائتين وأربع وسبعين؛ لأجل ذلك دعت الحاجة للوقوف على الأسرار البلاغية التي بدت من خلال تلاحم سياق النظم في تلك الآيات الجليلة، وانصبابها على غرض واحد بعينه .

وعند دراسة تلك الآيات تبين أنها بدأت بالتوطئة للحديث عن النفقة بتشبيه مضاعفة الله(ﷻ)أجر المنفقين في سبيله، بالحبة التي أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبه، ثم انتقل الحديث عن بيان أوصاف المستحقين لمضاعفة الجزاء من الله (ﷻ)، والتي منها إخلاصهم النية لله وابتغاؤهم مرضاته، فلم يرقبوا من وراء نفقاتهم منفعة من الفقراء، ولم يجعلوها وسيلة للتطاول عليهم بمنٍ أو أذى، كما أنهم تحروا في إخراجها الحلال الطيب؛ لعلمهم أن الله طيب لا يقبل إلا طيبا .

ثم تحدثت الآيات عن مداخل الشيطان للنفس وحجبه لها عن البذل والعطاء في سبيل الله، ثم أنبأت بأن الفاطن لتلك المداخل أحقب إنعام الله عليه بالحكمة التي هي منبع الخير كله، ثم وازنت الآيات بين صدقات السر والعلن، ورجحت فضل الإسرار بها لما فيه من المنفعة للمعطي والمعطى له، ثم حثت على تحري مواطن وضع الصدقات التي هي أحق بها وأهلها، فجلت أوصاف المستحقين لها من الفقراء الذين استتروا وراء تعففهم، فخفي أمرهم،

واستتر حالهم، ثم ختمت الآيات باستنفار المؤمنين للبذل والعطاء في أي وقت كان من ليل أو نهار، وعلى أي حال كان من سر أو إعلان .

الكلمات المفتاحية:

سياق الحديث– في سبيل الله– الإنفاق في سبيل الله– آيات سورة البقرة– سورة البقرة دراسة بلاغية.

siaq alhadith ean al'iinfaq fi sabil allah fi ayat surat albaqarat dirasat balaghia

fahumi fahmi zayanuhum aldirshabi
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Al-Azhar University, Egypt.
Email: fahmyeldershaby@gmail.com

Abstract: Surat Al-Baqarah is unique in extending the talk about spending in the way of God in a way that does not exist in any other Surah; Where the verses in this context followed from the verse two hundred and sixty one, to the verse two hundred and seventy-four; For this reason, there was a need to find out the rhetorical secrets that appeared through the coherence of the context of the systems in those great verses, and their focus on one specific purpose.

When studying those verses, it was found that they began with the introduction to talk about alimony by analogy with God's multiplying the reward of those who spend in His cause, with the grain that grows seven ears, and in each spike there is a hundred grains. Their sincerity of intention to God and their desire for His pleasure, they did not expect that behind their expenditures a benefit from the poor, and they did not make it a means to abuse them with insults or harm, just as they sought to extract it from the lawful and the good; Because they know that God is good and only accepts that which is good

Then the verses talked about Satan's entrances to the soul and his withholding of it from giving and giving in the way of God, then they foretold that the inquirer of those entrances deserves to be blessed by God with wisdom that is the source of all good. And the one who is given to him, then she urged to investigate the places of giving the alms that are more deserving of it and those who deserve it, so the descriptions of those who deserve it from the poor who were hidden behind their chastity, their matter was hidden, and their condition was hidden, then the verses were concluded by mobilizing the believers to give and give at

any time of the night or day, and on In any case, it was a secret or an announcement .

key words: The context of the hadith - for the sake of God - spending for the sake of God - the verses of Surat Al-Baqarah - Surat Al-Baqarah, a rhetorical study.

مقـــــدمة

الحمد لله الذي استأثر بعلم كتابه، وأودعه من أسرار بيانه، وفتح للمجاهدين في الوصول إليها شيئا من أبوابه، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، وجاوز فصاحة العرب والعجم، فصار بيانه فوق كل بيان، وسَلِمَ لسانه من كل زلل وطغيان .

وبعد ،،،

فمن الأسرار التي أودعها الله (ﷻ) في كتابه العزيز – والتي تدعو الحاجة إلى البحث وراء الحكمة في ذلك– تفاوت المعاني بين السور من جهة الإطناب والإيجاز، والتفصيل والإجمال، فتارة تجد المعني الذي يعالجه القرآن في سورة من السور قد تمادى به السياق، وانبسط في عدة صفحات، وتارة تجده في سورة أخرى أُوجِزَ في كلمات، واخْتُصِر في بعض آيات، وهذا ما تراءى للباحث عند مطالعة سورة البقرة والوقوف على موضوعات بعينها قد وردت فيها وفي غيرها من السور، فاستبان للباحث استئثار تلك السورة بإطناب الحديث عن بعض المعاني بالمقارنة بسور أخرى تناولتها بعينها، فمن ذلك الحديث عن قدرة الله على البعث، فتجد هذا المعنى وارد في قصة بقرة بني إسرائيل، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وقصة إبراهيم (عليه السلام) في محاجاة النمرود، وقصة العُزَير، وقصة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) ورغبته في معاينة إحياء الله الموتى، كما تجد هذا الاسترسال في حديث السورة عن بعض الشرائع، كالصيام والحج والزواج والطلاق .

ومن بين تلك الشرائع التي اختصت سورة البقرة بإسهاب الحديث عنها، الحديث عن الإنفاق في سبيل الله (ﷻ)؛ فقد تتابعت الآيات في سياق الحديث عن النفقة من الآية مائتين وإحدى وستين، إلى الآية مائتين وأربع

وسبعين(١)؛ لذا كان هدف البحث هو الوقوف على الأسرار البلاغية في تلاحم سياق النظم في تلك الآيات الجليلة، وحديثها عن غرض واحد بما لا وجود له في سورة أخرى من السور التي تناولت هذا المعنى .

وقد جاء البحث في مقدمة تبرز سبب اختيار الموضوع، والهدف المرجو منه، ثم التمهيد الذي احتوى على:

١- بيان علاقة آيات الدراسة بمقاصد السورة، وسر استرسال الحديث عن النفقة فيها دون غيرها من السور .

٢- علاقة تلك الآيات بما سبقها من آيات دعت إلى الإنفاق .

٣- مناسبة إرداف الحديث عن الإنفاق بعد الحديث عن الموت والبعث في تلك السياقات .

ثم تبع التمهيد موضوع الدراسة، والذي دار حول عدة محاور هي:

المحور الأول: التوطئة للحديث عن النفقة ببيان صورة مضاعفة أجر المنفقين في سبيل الله(ﷻ) .

المحور الثاني: بيان أوصاف المستحقين لمضاعفة الجزاء من الله (ﷻ).

المحور الثالث: بيان ما يشترط في العطية من أمور تمنحها القبول من الله(ﷻ) .

المحور الرابع: الكشف عن أسباب إعراض النفس عن البذل في سبيل الله، وسُبُل النجاة منها .

المحور الخامس: الكشف عن المواطن التي هي أولى بالصدقات.

ثم جاءت الخاتمة لتبرز أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم ثبت المصادر والمراجع، ثم الفهارس .

---

(١) كانت هذه اللمحة من بنات أفكار شيخي أ.د فريد محمد بدوي النكلاوي حيث أشار علي بالبحث في بيان السر وراء تتابع آيات الإنفاق في سبيل الله في سياق واحد، فجزاه الله عنا خير الجزاء وجعل هذا العمل في ميزان حسناته .

وبعد، فالله أسأل أن يجعل هذا العمل غاية في ابتغاء مرضاته، وأن يمنحنا به من حسناته، وأن يتجاوز عما بدا فيه من زلل أو تقصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمـهيـــد

قبل أن نشرع في الحديث عن الأسرار البلاغية التي حوتها آيات الإنفاق في سورة البقرة، تجدر الإشارة إلى ثلاثة أمور يبدو من خلالها تماسك أغراض تلك السورة وتشابك مقاصدها مع نظمها ونسجها، فالأمر الأول هو: علاقة تلك الآيات بمقاصد السورة وسر استرسال الحديث عن النفقة فيها بما لا وجود له في غيرها، والأمر الثاني: علاقة تلك الآيات بما سبقها من آيات دعت إلى الإنفاق، والأمر الثالث: مناسبة إرداف الحديث عن الإنفاق بعد الحديث عن الموت والبعث في تلك السياقات .

فأما عن الأمر الأول: وهو علاقة آيات الدراسة بمقاصد السورة، فيلاحِظُ من يتدبر في مطلع آيات تلك السورة أن مقصدها الأول هو إثبات كون هذا الكتاب كلام الله (ﷻ)، وأنه جاء به لهداية النفوس وانتشالها من دنس الكفر، والحياد بها عن مسالك الشيطان ومَدَاخِله التي تَحُول بين العبد وربه، اقرأ إن شئت قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ (١)، فغاية هذا الدستور الإلهي ومقصده الأول هو الهداية والإرشاد لمعالم التقوى .

ثم بَيَّنَ بعد ذلك الأسباب التي بلغت بالمتقين إلى قمة الهدي واستعلائهم عليه بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾(٢)، فجعل الإنفاق سبيلا من السبل التي يُسْلَك منها لبلوغ

(١) سورة البقرة، آية رقم ١، ٢ .

(٢) السابق، آية رقم ٣، ٤، ٥ .

الهداية والدخول في زمرة المتقين المفلحين، ومن خلال مطلع السورة يتبين أن الحديث عن النفقات مقصد أساسي من مقاصد تلك السورة، فأسهب في الحديث عنها في آيات الدراسة؛ ليبين مدى أثرها في تزكية النفوس وتقواها، وعظم الجزاء الذي يجنيه المرء من خلالها، بالإضافة لما تحدثه من إشاعة المحبة والألفة بين أبناء هذا الدين وتلاحم أواصلهم دون تفاوت ملحوظ بين طبقاتهم .

وأما عن الأمر الثاني: وهو علاقة الآيات بما سبقها من آيات دعت للإنفاق، فيلاحظ أن آيات الدراسة لم تكن هي الأولى في الحديث عن النفقة في هذه السورة الكريمة، وإنما سُبقت بقوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ﴾(١)، وقوله أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾(٢)، ثم جاء قوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ ﴾(٣)، فعلاقة الآية الأولى بالثالثة تبدو من جهة أنه لما ذكر في الآية الأولى أن الله يضاعف للمنفق جزاءه أضعافا كثيرة تشوقت النفس لمعرفة كنه هذه المضاعفة وكيفية تحققها، فأزاح الستار عنها بصورة التمثيل في إنبات الحبة سبع سنابل، وحمل كل سنبلة مائة حبه .

كما تبدو العلاقة بين الآية الثانية والثالثة من جهة معرفة السر في استئثار الله(ﷻ) بالأمر بالإنفاق دون غيره من سائر العبادات قبل إدراك اليوم

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٤٥ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥٤ .

(٣) سورة البقرة جزء من آية رقم ٢٦١ .

الذي لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة، فجاءت آيات الدراسة لتؤكد عظم عائد الحسنات التي يجنيها العبد من أثر نفقاته دون غيرها من أعماله الصالحة، ومما يؤكد هذا ما حكاه المولى –سبحانه– على لسان المتمنى الرجوع للدنيا ليزيد من أعماله الصالحة وتخصيصه للصدقة من بين تلك الأعمال، فقال ربنا(ﷻ): ﴿ **وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** ۝١٠ ﴾ (١).

وأما عن الأمر الثالث وهو: مناسبة الحديث عن النفقة وعلاقته بالحديث عن الموت والبعث، فيتراءى للمتدبر من خلال سياقات الآيات الثلاث(٢) أنها سُبقت بالحديث عن البعث والموت، فالآية الأولى –"**مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**"– جاءت عقب قصة: ﴿ **ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ** ﴾(٣)، وجاءت الآية الثانية –"**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم** "– عقب الحديث عن اقتتال الأمم السابقة بعد إتيان الرسل لهم بالبيانات﴿ **وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ** ﴾(٤)، وجاءت الآيات موضع الدراسة بعد الحديث عن محاجاة سيدنا إبراهيم(عليه السلام) لـ "نمروذ"

---

(١) سورة المنافقون آية رقم ١٠ .

(٢) "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا"، يا أيها الذين أمنوا أنفقوا "، "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله" .

(٣) سورة البقرة، جزء من آية رقم ٢٤٣ .

(٤) السابق، جزء من آية رقم ٢٥٣ .

في شأن البعث، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وتلبية رغبة سيدنا إبراهيم(عليه السلام) في معاينة إحياء الله (عز وجل) الموتى .

وقد كشف صاحب كتاب مفاتيح الغيب عن سر إرداف الحديث عن البعث بالحديث عن الإنفاق في سياقات الآيات قائلا: ((وإنما ذكر بين الآيتين_ يريد آية " من ذا الذي يقرض الله..." وآية "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ..."_ الأدلة على قدرته بالإحياء والإماتة، من حيث لولا ذلك _ يريد البعث للحساب والمجازاة _ لم يحسن التكليف بالإنفاق؛ لأنه لولا وجود الإله المثيب المعاقب لكان الإنفاق في سائر الطاعات عبثا، فكأنه تعالى قال لمن رَغَّبه في الإنفاق قد عرفت أني خلقتك وأكملت نعمتي عليك بالإحياء والإقدار، وقد علمت قدرتي على المجازاة والإثابة، فليكن علمك بهذه الأحوال داعيا إلى إنفاق المال)) ([1]) .

كما كشف صاحب كتاب روح المعاني عن سر ترابط الحديث عن النفقة بالحديث عن الموت والبعث قائلا: أنه لما تحدث عن البعث في الآيات السابقة ذكر ما يُنْتفع به في هذا اليوم، وما يجده المرء هناك من الجزاء من أثر الإنفاق في سبيل الله([2])، وهذا ما يؤكد عظم الجزاء الذي يحصده المرء من نفقاته من بين سائر أعماله الصالحة .

(١) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين ٤٧/٧ بتصرف يسير، الطابعة الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م، دار الفكر (لبنان_ بيروت)

(٢) روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ٣٣/٢ بتصرف، تحقيق على عبدا لباري عطية، دار الكتب العلمية (لبنان _ بيروت)

المحور الأول

التوطئة للحديث عن النفقة ببيان صورة

مضاعفة أجر المنفقين في سبيل الله (ﷻ) ـ

بعد الكشف عن علاقة آيات الدراسة بمقاصد السورة، وعلاقتها بما سبق من آيات دعت للإنفاق، وبيان المناسبة بينها وبين الحديث عن الموت والبعث، أشرع في بيان بلاغة النظم في تلك الآيات، وأول ما تجدر الإشارة إليه فيما استهلت به آيات الدراسة هو الكشف عن السر وراء صياغة معنى مضاعفة أجر الصدقة في صورة التشبيه التمثيلي في قوله تعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ (١)

لما كان حب المال والحرص عليه مما جُبلت عليه النفس ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾ ﴾(٢)، أراد الحق -سبحانه- أن يُرَغِّب النفوس في الإنفاق، ويستميلها للاستجابة لغرضه من شِرْعَتِه دون إرغام أو إكراه؛ لأن مجيئها طواعية أدعى إلى ثباتها على ما دُعيت إليه، وعدم حيادها عما استقر عليه؛ لأجل ذلك صيغت الآية في ثوب التشبيه التمثيلي دون غيره من الأساليب البلاغية؛ لأنه أقدر الأساليب على تصوير معنى المضاعفة وإيضاحها في أبهى صورة وأتم بيان، ولو صُبَّ هذا المعنى في قالب غير التشبيه كالشرط مثلا، فقيل في غير القرآن: إذا أنفق أحدكم نفقة ضوعفت له إلى سبعمائة ضعف، لم يكن له وقع في النفوس وإيصال المعنى كما أحدثه التشبيه التمثيلي .

---

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢٦١.

(٢) سورة الفجر، آية رقم ٢٠.

وتبدو علاقة خفية في اختيار صورة المشبه به في تلك الآية الكريمة –وهي الإنبات– تزيد من شأن الترابط بين الحديث عن النفقة وما سبقه من الحديث عن البعث، فصورة الإنبات متحققة في البعث كما هي متحققة في الزرع، كما أخبرنا بذلك المصطفي (ﷺ) في حديثه عن عَجَبُ الذَّنَب الذي يُرَكَّبُ منه الخلق يوم القيامة، حيث قال:((ثمَّ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيَنْبُتُونَ بِهِ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))(١)، وكأن النفقة في الآخرة هي الباعث الحقيقي وراء حياة ناضرة لا يشقى فيها صاحبها، هي طوق نجاته الذي يجنى من خلاله خيرات أعدها الله لعباده المنفقين دون غيرهم.

ويلاحظ أن الآية نَصَّت على تشبيه أصحاب النفقة بالحبة وليس تشبيه النفقة نفسها، فقال –سبحانه–: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ﴾ (٢)، وسوغ المفسرون ذلك بتقدير مضاف في جانب المشبه؛ أي: مثل "نفقة الذين ينفقون"، أو في جانب المشبه به؛ أي: "كمثل زارع حبه"، وفي تنكير لفظ "حبة" في قوله: "كمثل حبة"، ما يوحي بمعنى التقليل، فإن كانت تلك المضاعفة لمن أنفق في سبيل الله ما يقارب قدر الحبة فما بالك بمن غرس ما لا حصر له في وجوه المعروف، فهذه دعوة إلى عدم احتقار شيء من المعروف؛ لأن ميزان الجزاء عند الله لا يشترط فيه عظم العطية، فالجزاء

(١) نص الحديث ((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ قَالَ: ثُمَّ يُنَزِّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلاَّ يَبْلَى؛ إِلاَّ عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) مختصر صحيح البخاري للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ٣/ ٣١١، مكتبة المعارف (الرياض)، الطابعة الأولى ١٤٢٢هـ_ ٢٠٠٢م .

(٢) سورة البقرة، جزء من آية رقم ٢٦١

كائن على القليل كما هو محقق على الكثير(١) شريطة أن يراعى فيها مسوغات القبول التي سيفصل الحديث عنها لاحقا.

ومما يؤكد معنى تحقق مضاعفة الجزاء على القليل، إسناد فعل الإنبات للحبة لعلاقة السببية –حبة أنبتت–، فكما أن الحبة سبب في وجود السبعمائة حبة، فكذا النفقة القليلة التي تعدل الحبة سبب في نيل السبعمائة حسنه، وفي إضافة المال إلى ضميرهم "ينفقون أموالهم" دلالة على أن تلك الأموال من حر كسبهم الذي تحروا فيه الحلال الطيب دون أن يخالطه شائبة من كسب حرام، لأنه ألمح بعد ذلك أن الشرط في مضاعفة العطاء أن يكون من الحلال الطيب في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾(٢).

ويلاحظ أنه عبر بالفعل المضارع في جانب الإنفاق "مثل الذين ينفقون أموالهم"، وبالماضي في جانب الجزاء الدال عليه صورة المشبه به "أنبتت"، فأفاد بدلالة الماضي أن هذا الجزاء كائن وواقع منه _سبحانه_ في كل مرة يتجدد فيها عطاؤهم ويتكرر فيها نوالهم .

انتهت صورة التشبيه التمثيلي عند قوله تعالى: "مائة حبة"، ثم ذكر أن الجزاء لا ينتهي عند هذا الحد، وإنما يتجاوز إلى مالا يعلمه أحد سواه، فقال: "والله يضاعف لمن يشاء"، فقيد المضاعفة بمشيئته –سبحانه– وجعلها مرجأة لعلمه بمستحقيها، وتعد هذه الجملة هي مفتاح الحديث للآيات التالية؛ حيث بدا من خلاله تقييد المضاعفة بمشيئته أنها مشروطة بشروط لابد من

---

(١) وهذا يوافق حديث النبي (ﷺ) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ(ﷺ): "لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ" صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ٢٠٢٦/٤، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث (القاهرة) الطابعة الأولى ١٤١٢هـ_١٩٩١م

(٢) سورة البقرة، جزء من آية رقم ٢٦٧

توافرها حتى تتحقق تلك المضاعفة، فمن هذه الشروط ما يتعلق بحال المُعْطِي، ومنها ما يتعلق بحال العَطِيّة، ومنها ما يتعلق بحال المُعْطَى له، فاشترط في حال المُعْطِي أن يكون عطاؤه خالصا لوجه ربه راغبا به مرضاته، دون أن يكدره بمنٍ أو أذى أو رياء، وهذا ما أنبأ عنه المولى – سبحانه– في الآية التالية وما بعدها بقوله: ﴿ ٱلَّذِين يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى....﴾ (١) .

واشترط في أمر العطية أن تكون من كسب طيب؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وهذا مشارٌ إليه فيما بعد بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾ (٢)، كما أشار للأمر الثالث وهو حال المُعْطَى له بقوله :﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (٣)، أي تحري وضع النفقة في حق موضعها، فبقدر مراعاة هذه الأمور يكون مقدار الجزاء والمضاعفة، وفي التعبير بالمضارع هنا "يضاعف" ما يؤكد معنى دوام المجازاة على العمل الصالح حتى بعد الممات فالمضاعفة لا تقتصر على وقت خروجها، بل يدوم نفعها حتى بعد رحيل صاحبها وخاصة في الصدقات الجارية، كما قال ربنا: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢ ﴾ (٤) .

وقد ذيَّل الآية بصفتين جمع بهما خلاصة ما أنبأت عنه مضمون الآية، فالوصف الأول "واسع" دل به على سعة عطائه الذي لا منتهى لحصره

(١) سورة البقرة، جزء من آية رقم ٢٦٢
(٢) سورة البقرة، جزء من آية رقم ٢٦٧
(٣) سورة البقرة، جزء من آية رقم ٢٧٣
(٤) سورة يس، جزء من آية رقم ١٢

ولا غاية في تصور كنهه، تدبر قوله في الحديث القدسي لتقريب تلك الصورة: ((لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ))(١)، كما أفاد بالوصف الثاني "عليم" شمول علمه بمن يستحق مضاعفة الجزاء، وأنه مطلع على سرائر كل معطٍ وغايته التي يرنو إليها بعطائه، خبير بمصدر عطائه وما يشوبه من الحلال أو الحرام، فيجازي كلا بمقدار صِدقه وإخلاصه على وفق علمه وإرادته .

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، ١٩٩٤/٤ ونصه: ((عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)) قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ .

المحور الثاني

بيان أوصاف المستحقين لمضاعفة الجزاء من الله (ﷻ) ـ

٢- قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ ﴾(١)

بعدما كشف بالآية الأولى عن صورة مضاعفة الجزاء، بدأ في الكشف عن المسوغات التي يترتب عليها قبول الصدقات ومن ثَمَّ مضاعفة الجزاء الذي أبان عنه بالآية الأولى، فأول هذه المسوغات هي: بيان إخلاص نِيَّة المنفق حال نفقاته، وسلامة صدره من ابتغائه بصدقته غير وجه الله (ﷻ)، فلا تحدثه نفسه بترفع على محتاج بمنٍ، أو إدراكه بأذى أياً كان نوعه، وما أحسن قول القائل: ((لئن ظننت أن سلامك يثقل على من أنفقت عليه تريد وجه الله فلا تسلم عليه))(٢) .

ويلاحظ اتفاق الآية الثانية مع ما بدأت به الآية الأولى، إلا أن الأولى جاءت للكشف عن عظم الجزاء المترتب على النفقة؛ لذا صُدرت بلفظ "مثل"، وجاءت الثانية للكشف عن أسباب مضاعفة هذا الجزاء، فجاءت مستأنفة؛ لأن قوله (ﷻ) في الآية الأولى: "والله يضاعف لمن يشاء" يثير في النفس وازع الشوق لمعرفة أوصاف المستحقين لهذه المضاعفة، وهذه هي اللحمة بين الآيتين .

---

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢٦٢

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ١/ ٣٥٦، تحقيق/ عبدالسلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية (بيروت_لبنان) الطابعة الأولى ١٤٢٢هـ_ ٢٠٠١م .

وقد عطف نفى متابعة نفقاتهم بمنٍ أو أذي بـ "ثم" _ "ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى"_، مع أن الظاهر أن يعطف بالواو، فسوغه الزمخشري بأنه لأجل ((إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى، وأن تركهما خير من نفس الإنفاق))(١)، يعنى ((أن "ثم" للترتيب الرتبي لا للمهلة الزمنية، ترفعا لرتبة ترك المن والأذى على رتبة الصدقة؛ لأن العطاء قد يصدر عن كرم النفس وحب المحمدة، فللنفوس حظ فيه مع حظ المعطَي، بخلاف ترك المن والأذى فلا حظ فيه لنفس المعطِي،... فالمهلة في "ثم" مجازية: إذ شبه حصول المهم – في عزة حصوله– بحصول الشيء المتأخر زمنه))(٢)، ونقل الألوسي وجها آخر في العطف بـ "ثم" وهو ((الدلالة على دوام الفعل المعطوف بها –وهو الفعل المنفي "لا يتبعون"– وإرخاء الطول في استصحابه، وعلى هذا لا تخرج عن الإشعار ببعد الزمن، ولكن معناها الأصلي تراخي زمن وقوع الفعل وحدوثه، ومعناها المستعار له دوام وجود الفعل وتراخي زمن بقائه ...أي يديمون على تناسي الإحسان وعلى ترك الاعتداد به))(٣)؛ أي أن معنى التراخي استعير للدوام وعدم البراح بحيث أنه لا ينتهي، وهذا أقرب للمراد؛ لأنه إذ انتفى إتباع نفقاتهم بالمن والأذى على التراخي من الزمان فمن باب أولى انتفاؤه عقب إنفاقهم .

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ٤٩٥/١، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الجواد، الشيخ على محمد معوض، أ.د فتحي حجازي، مكتبة العبيكان (الرياض) الطابعة الأولى ١٤١٨هـ_ ١٩٩٨م .

(٢) تفسير التحرير والتنوير للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور ٣ /٤٢ بتصرف يسير، الدار التونسية (تونس) ١٩٨٤

(٣) روح المعاني للألوسي ٣٣/٢، بتصرف يسير .

وفي هذا النفي ما يوحي بالمدح والثناء لهؤلاء؛ لأن فيه دلالة على تخلصهم مما جبلت عليه النفس الإنسانية من غرائزها الدنيئة وطبائعها الرديئة حال الإنفاق، فتستشعر باستعلاء على المعطَى له، ويظل يخاتلها هذا الشعور إلى أن يحضر سبب من أسباب البوح به فتظهره في ثوب المن أو ما شابهه من أنواع الإيذاء، ولما كانت هذه هي طبيعة النفس الإنسانية عمل هؤلاء على تزكيتها وجاهدوها مجاهدة سعت بهم نحو سُبل الله (ﷻ) فاستحقوا معيته، كما أخبر عن ذلك بقوله –سبحانه–: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾(١).

والمن: أن تمن بما أعطيت وتعتد به(٢)، وهو نوع من الأذى وفي التنصيص على المن من بين أنواع الأذى؛ لكونه الأشهر والغالب على النفس الإنسانية بعد العطاء، فإذا ما تغلبت عليه بعد بذلها فهي على غيره من أنواع الأذى أقدر، وفي تكرار لا النافية مع المن والأذى دون العطف فحسب، دلالة على استواء النفي فيهما، فلا يقع منهم هذا كما لا يقع منه ذاك .

وقوله: "لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ"، تأكيد لمضمون الوعد بالجزاء في الآية الأولى، فأفادت الآية الأولى أن كل نفقة جزاؤها مضاعف إلى سبعمائة ضعف، وهذه أفادت أن مجموع أجر صدقاتهم في الدنيا مضمون محفوظ عند ربهم، وهذا مفاد اللام التي للملك في "لهم" والإضافة في قوله: "عند ربهم" .

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ٦٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٩٨/١٣، مادة: منن، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصاوي العبيدي، دار التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي.

ثم إنه لم يكتف بضمان أجرهم في الآخرة وإنما منحهم فوق ذلك نفي الخوف والحزن عنهم، فقال: ((وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ))، فـ ((نفى الخوف بالخبر الاسمي وهو لا خوف عليهم؛ لإفادة نفي جنس الخوف نفيا قارا، لدلالة الجملة الاسمية على الدوام والثبات،- فيأمنون منذ قرب ساعة لقاء الله كما ذكر في قوله: "تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا.." وفي يوم بعثهم كما قال "لا يحزنهم الفزع الأكبر..."- والتعبير في نفي الحزن بالخبر الفعلي وهو "ولا هم يحزنون" لإفادة تخصيصهم بنفي الآخرة))([1])، وهذا تعريض بحال مقابليهم ممن بذلوا العطاء وخالطوه بمنٍ وأتبعوه بأذى، فيلحقهم الحزن ويداهمهم الخوف عند معاينة ذهاب أعمالهم هباء منثورا كما ستوضحه الآيات التالية.

٣- قال تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾([2])

لا يخفى على متدبر علاقة الآية بما قبلها؛ حيث إنه لما كشف عن أول شروط قبول النفقة الموجب للجزاء الأوفى، وهو نفي إتباعها بمنٍ أو أذى، جاء هنا ليوجه إلى سبيل النجاة من الوقوع في هذا المنهي عنه، وليرشد إلى كيفية التعامل بين السائل والمسؤل، فجعل التسريح بإحسان خير من البذل الذي يعقبه منٌ أو أذى؛ لأنه أبقى على حبل المودة وجريان نهر المحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي، وسل سخيمة النفس التي جُبلت علي الأذى بعد البذل، ودفعها إلى تحري أسباب القبول .

وقد ذكر الفخر الرازي وجها من وجوه معنى الآية – لعله الأقرب للمراد- معللا سبب أفضلية القول المعروف من الصدقة التي يتبعها أذى،

(١) التحرير والتنوير ٥١٨/١

(٢) سورة البقرة، آية رقم ٢٦٣

فقال: ((قوله: "قَوْلٌ مَعْرُوفٌ" خطاب مع المسؤول بِأَنْ يَرُدَّ السَّائِلَ بِأَحْسَنِ الطُّرُقِ، وَقَوْله: "وَمَغْفِرَةٌ" خطاب مع السائل بأن يعذر المسؤول في ذلكَ الرَّدِّ، فَرُبَّمَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ فِعْلَ الرَّجُلِ لِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى، وَسَبَبُ هَذَا التَّرْجِيحِ أَنَّهُ إِذَا أَعْطَى ثُمَّ أَتْبَعَ الْإِعْطَاءَ بِالْإِيذَاءِ، فَهُنَاكَ جَمْعٌ بَيْنَ الْإِنْفَاعِ وَالْإِضْرَارِ، وَرُبَّمَا لَمْ يَفِ ثَوَابُ الْإِنْفَاعِ بِعِقَابِ الْإِضْرَارِ، وَأَمَّا الْقَوْلُ الْمَعْرُوفُ فَفِيهِ إِنْفَاعٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَتَضَمَّنُ إِيصَالَ السُّرُورِ إِلَى قَلْبِ الْمُسْلِمِ وَلَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ الْإِضْرَارُ، فَكَانَ هَذَا خَيْرًا مِنَ الْأَوَّلِ)) (١) .

وفي تنكير لفظ "قول" ما يفيد التقليل؛ أي أن أقل القول الذي يُرَدُّ به السائل يُجزى به شريطة أن يكون ردا جميلا، كما قابل هذا بتنكير لفظ "منّ، وأذى" دلالة على أن أقل المن أو الأذى يكون سببا في عدم قبول الصدقة، وفي تذييل الآية بقوله: "وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ" تعريض بمن يحيد عن توجيه الله(ﷻ) وبيانه؛ أي غني عن نفقة جَلَبَت أذى لسائل وأنبتت ضغينة بين أفراد ملته، "حليم" عن مؤاخذة صاحبها في حينه، فيمهله ليوم يُجَازى فيه كلُ امرئ بما كسبت يداه، كما أفاد بالمضارع "يتبعها أذى" تجدد حدوث هذا الأمر على المدى البعيد، وليس المراد مجرد إرداف المن أو الأذى عقب الإنفاق، ولو أراد ذلك لقال : خير من صدقة تبعها أذى، وهذا على غرار العطف بـ "ثم" في قوله السابق: "ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى" .

٤- قال تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ**

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٥٢/٧، ٥٣

كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾(١)

يلاحظ من تسلسل الآيات الثلاث التي تكرر فيها لفظي "المن، والأذى" أنها جاءت على وجه الترقي لاستمالة المخاطب نحو التخلص من هاتين الخصلتين، وإرشاده لمغبة أمرهما وخطورة وبالهما إذا ما خالطا نفقته، فجاء باللفظين في الآية الأولى _"الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله..."_ في سياق مدح الذين امتثلوا أمر الله(ﷻ) بتجريد نفقاتهم من شوائب المن والأذى، من أجل ذلك استحقوا الجزاء الأوفى، ثم جاء في الآية الثانية _قول معروف..." _ بلفظ واحد يغنى عن الآخر لدخوله في عمومه؛ وذلك للتنبيه على أن التسريح بإحسان خير من الصدقة التي يتبعها أذى والذي منه المن بالعطاء، ثم جاءت هذه الآية لتجلى سبب السعي نحو التخلص من هاتين الخصلتين؛ وهذا لسوء تبعاتهم وشر عواقبهم .

وتأمل استهلال الآية الكريمة بـ "الياء" التي لنداء البعيد، ثم إرداف الياء بـ "أي" التي للإبهام، ثم إتباع "أي" بالـ "هاء" التي للتنبيه، ففي هذه الصيغة – يَا أَيُّها – ذات العناصر المتكاثفة في النداء، دلالة على عظم أهمية المقصد الذي نادى الحق –سبحانه– الذين أمنوا من أجله(٢)، وقد تَجَلَّى هذا المقصد فيما أعقب به النداء، وهو النهي عن إبطال الصدقة وذهاب أجرها بسب المن والأذى، وفي التنصيص على وصف المنادى بـ "الذين آمنوا" ما يوحي بأن من يمتثل مراد الحق –سبحانه– من هذا النداء حقيق بهذا الوصف وجدير به، فضلا عما يفيده التعبير بالاسم الموصول من التعظيم والتفخيم من شأن هؤلاء الذين يمتثلون أمر الله .

---

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢٦٤

(٢) ينظر دلالات التراكيب دراسة بلاغية، أ.د محمد أبو موسى، ص ٢٦٢، مكتبة وهبة(عابدين_القاهرة)، الطابعة الرابعة ١٤٢٩هـ_ ٢٠٠٨م .

ولما كان الإبطال شيئا معنويا أراد المولى _سبحانه_ أن يجلى صورته، ويظهر حقيقته، فجاء بصورتين من صور التشبيه بُنِيت إحداهما على الأخرى، فالأولى قوله: "كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ"، فشبه إبطال الصدقة التي أتبعها صاحبها بمنٍ أو أذى، ببطلانها في جانب المرائي، فأفاد التشبيه هنا المواساة بين طرفي التشبيه في نتيجة واحدة وهي: إبطال الثواب وعدم قبول العمل من جانب المرائي والمنانّ بعطائه، كما أفاد التشبيه هنا تأكيد الشرط في قبول الصدقة الذي أشار إليه سابقا، وهو أن تكون خالصة لوجه الله (ﷻ) لا يريد بها صاحبها جزاء ولا شكورا .

ويلاحظ أن المراءاة بالعطاء وحدها كفيلة بإحباط أجر الصدقة؛- لأنها لم تكن خالصة لوجه الله (ﷻ) وابتغاء مرضاته، وإنما جاءت رغبة في إرضاء حاجة النفس ومحبتها للمدح والثناء من قِبل الناس-، فِلمَ أتبع وصف المرائي بأنه لا يؤمن بالله واليوم الآخر، مع أنه لو قيل "كالذي ينفق ماله رئاء الناس، فمثله كمثل صفوان..." لاستقام المعنى؟!، ولكنه أراد أن يؤكد على أن الرياء محبط للعمل سواء كان صاحبه ممن يؤمن بالله واليوم الآخر أو لا يؤمن بهما، وأن الإيمان وحده لم يكن مسوغا في قبول صدقة مِن مرائي كما لم يكن مسوغا في قبول الصدقة التي أتبعها صاحبها بمن أو أذى، فكلاهما سواء في بطلان ثوابهما وإحباط عملهما؛ لأنهما لم يكن غاية عملهما ابتغاء الجزاء من الله -سبحانه- .

كما أن في الآية ما يوحي بتفضيل صدقة الخفاء؛ لأنها حِرزٌ للنفس من الوقوع في شراك هذا الداء الذي يتسرب إليها كدبيب النمل، فلا سبيل للنجاة منه إلا بالتستر عن أعين الناس بالصدقات، ومجاهدة النفس ومراودتها لتبتغي بما وهبت رضا الله -سبحانه-، وهذا ما نص عليه بعد ذلك في قوله: وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم" .

غرض الصورة الثانية

بعدما كشف الحق –سبحانه– بالتشبيه الأول عن مساواة المنان بالعطاء للمرائي في إحباط عملهما، استرسل في بيان صورة ضلال سعي المرائي في الحياة الدنيا، وذهاب أثر عمله في الآخرة، فقال –سبحانه–: "كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا "

التشبيه هنا تمثيلي، شبه هيئة ذهاب الرياء بأجر المرائي يوم القيامة ومحوه لمَا رجاه من الثواب، بهيئة ذهاب الوابل بتراب تراكم على حجر صلد فتركه أملسا، والوجه الجامع بين الطرفين هو: الهيئة الحاصلة من انجراف شيء يرجى الإجداء والنفع منه، دون أخذ الحيطة والحذر من موانع ذهابه وتبديده، ويلاحظ أنه قال "فتركه صلدا" أي صلبا، ولم يقل "أملسا" مع أن المراد وصف نقائه وذهاب ما عليه لا وصف شدته وصلابته، ولكنه أفاد بهذا الوصف كون هذا المرائي لا يَنْفُذ إليه شيء من الأسباب التي تؤل به للنفع والإجداء كهذا الحجر الذي لا ينفذ إليه الماء –رغم كثرته ووفرته– الذي من شأنه أن يحقق النفع لأي مكان ينزل فيه .

وفي إسناد الفعل "تركه" لضمير الوابل ما يفيد قوة اندفاعه وسقوطه على هذا التراب المتراكم فوق الحجر الصلد حتى أذهب ما عليه، وفي تنكير لفظ "شيء" في قوله: "لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا " ما يفيد التقليل؛ أي لا تُمَكنهم قوة من حوزة شيء من جزائهم أيا كان قدره، كما أفاد بضمير الجمع في قوله: "لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا "، تساوي حال المرائين الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر لحال الذين يُتبعون نفقاتهم بالمن والأذى في كونهم لا طائل لهم يوم القيامة من ثواب نفقاتهم، وفيه بيان لوصف عجزهم وقلة حيلتهم في موقفهم، فتتزايد حسراتهم عند معاينتهم محو ثوابهم .

وهذه الآية قريبة من آية سورة إبراهيم: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ ﴾(١)

فكلاهما تمثيل لذهاب أثر أعمال الكافرين في الآخرة، وإن اختلفا في عناصر الصورة، ويلاحظ أن عناصر كل صورة تتوافق مع سياق المعنى الواردة فيه، فَوَصف الأعمال في سورة إبراهيم ((بالرماد ليبين المدى الذي صارت إليه أعمالهم من الإحراق والتبديد والضياع))(٢) وهذا مناسب لما قبله من وصف حال الكافرين وهم يعالجون عذاب النار(٣)، كما أن تشبيه محو جزاء النفقات في سورة البقرة بالصفوان الذي أصابه وابل فتركه صلدا، مناسب لما قبله من وصف مضاعفة النفقة بالحبة التي أنبتت سبع سنابل، ومناسب أيضا لما بعده من وصف مضاعفة الجزاء بالجنة التي بربوة، ولا يمكن أن تكون أحد الصورتين في موطن الأخرى(٤) .

---

(١) سورة إبراهيم آية رقم ١٨ .

(٢) دراسة في البلاغة والشعر أ.د/ محمد محمد أبو موسى ص٣٠، مكتبة وهبة (القاهرة) الطابعة الأولى ١٤١١هـ _١٩٩١م .

(٣) قال تعالى : ((وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ)).

(٤) يقول أ.د/ محمد أبو موسى ((إن التشبيه من حيث لغته وصوره ولونه وطبعه امتدد للأحوال الجارية في السورة؛ لأنه جزء منها، يجري فيه ما يجري فيها، بل هو جزء من كل، له طبع واحد، وفيه ماء واحد، فلابد أن تكون العلاقات بمثابة الشرايين الجارية في الجسد، أو الدم الجاري في الشرايين، فكما لا يكون الدم الجاري في بعض أجزاء الجسد من فصيلة مخالفة للدم الجاري في البعض الآخر، كذلك لا تكون الأنسجة اللغوية والصور النفسية والرموز المعنوية الجارية في التشبيه معزولة عن الحركة اللغوية العامة الجارية في السورة كلها))، دراسة في البلاغة والشعر ص٣١

وقد ختمت كلا الصورتين بجملة متقاربة النسج، فقال في البقرة: ((لَا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا))، وفي إبراهيم: ((لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلى شَيْءٍ))، فأخر جملة الصلة _مما كسبوا_ في آية البقرة على الجار والمجرور _على شيء_، وقدمها في آية إبراهيم على الجار والمجرور، وتوجيه ذلك أنه لما كان الغرض في آية إبراهيم هو تصوير عموم ذهاب أعمال الكافرين سُدىً، وعدم انتفاعهم بشيء منها قَدَّم الصلة –مما كسبوا– على الجار والمجرور _على شيء_ فأفاد محق أعمالهم بالكلية، وتمام عجزهم عن الحصول على أدنى شيء منها، ولما كان الغرض من آية البقرة تحذير المؤمنين من إبطال ثواب نفقاتهم إذا خالطوها بأذى أو رياء، ومساواتهم في عدم الانتفاع بصدقاتهم خاصة من بين أعمالهم بهذا بالمرائي الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر، قَدَّم الجار والمجرور على جملة الصلة، أي: لا يقدرون على الانتفاع بشيء من الذي كسبوه من نفقاتهم، فأراد وصف مساواتهم بهذا المرائي في هذه الشعيرة خاصة من جهة ذهاب أثر نفقاتهم . والله أعلم

وفي تذييل الآية بنفي هداية الكافرين "وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ"، تعريض بمن فيه هذه الخصال من المؤمنين؛ كي ينجوا بأنفسهم من هذه الصفات الذميمة التي ربما تسربت إلى قلوبهم دون أدنى دراية بمغبة عواقبها، فضرب هذا المثل لغرض هدايتهم وإرشادهم لما فيه صلاحهم، وتحذيرهم من أن يَسْرِي عليهم ما يسري على هؤلاء الكافرين الذين ابتغوا بنفقاتهم وجه الناس، فضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

٥- قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥ ﴾ (١)

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢٦٥

لم يكتف المولى –سبحانه– بضرب المثل الذي جلَّى من خلاله حال الذين أبطلوا صدقاتهم سواء بالمن والأذى أو الرياء، وإنما أتبعه بمثال آخر قابل فيه حالهم بحال من امتثلوا أمره وأذعنوا لمراده، فجعلوا مرضاة ربهم نُصْب أعينهم وغايتهم المرجوة من نفقاتهم، فزَكَّى نفوسهم وأربى نفقاتهم وأجزل عطاءهم، فقوله: " ومثل الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ... كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ"، قريب من المثل الأول "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة"، إلا أن غرض الأول تقريب صورة زيادة أجر النفقة بوجه عام، وغرض الثاني تأكد معنى تلك الزيادة التي نص عليها، بالإضافة لبيان سبب من أسباب تلك الزيادة، وهي أنها صدرت منهم رجاء رضا ربهم (ﷻ) مع يقينهم بمجازاتهم وإثابتهم عليها، ((وقد حصل من تمثيل حال الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله بحبة ثم بجنة جناس مصحف)) (١) .

ويلاحظ تناسق المثلين من جهة تعدد طرفي المقابلة، فتجد من ذلك تباين غاية كل فريق من نفقته، فالصنف الأول "يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ" رجاء نيل مقالة بالمدح والثناء، بينما أنفق الطرف الثاني ماله ابتغاء مرضاة الله (ﷻ) وامتثالا لأمره، فالفيصل بينهما هو تحقق الإخلاص لله –سبحانه–، فكلاهما أنفق ولكن الأول تعجل الأجر في الدنيا فناله بمقالة الناس، بينما أرجأه الثاني للآخرة فحظي بمضاعفته أضعافا كثيرة مع أَمْنِه من الخوف والحزن .

وقابل أيضا بين انتفاء يقين الطرف الأول بوجود الله (ﷻ) وقدرته على البعث لمجازاة كل نفس بما كسبت –"وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ"–، بتحقق هذا اليقين ورسوخه في قلب الطرف الثاني "وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ"(٢).

---

(١) التحرير والتنوير ٥٢/٣

(٢) ذكر ابن عاشور أن التثبيت هنا تمثيل للتصديق لوعد الله وإخلاص في الدين ليخالف حال المنافقين، أي حالهم في عدم الإيمان بالله واليوم الآخر، ينظر التحرير والتنوير ٥١/٣

كما قابل بين أثر الوابل في الصورتين، ففي المثل الأول جعل الوابل وسيلة لمحق الأسباب المؤدية للنفع –"فأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً"–، فمن شأن الوابل أن ينبت الزرع إذا ما خالط التراب، ولكنه هنا كان سببا في ذهاب التراب الذي هو محل الإنبات، بينما جعله في المثل الثاني سببا لجلب الخير والنفع والبركة – "أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ"– ويلاحظ أنه جاء بالفاء مع الفعل "أصابه" في المثل الأول "فأصابه وابل فتركه صلدا"، ولم يأت بها في المثل الثاني "أصابها وابل فآتت أكلها"، فأفاد بمجيء الفاء الترتيب بلا مهلة، أي بمجرد أن تراكم التراب على الصفوان لم يلبث أن أصابه الوابل فذهب به، وهذا يعكس حال الرياء إذا ما خالط الصدقات فيمحو أثرها ويمحق أجرها، بينما أفاد بترك الفاء في الفعل نفسه مع الصنف الثاني، أن الوابل موجود حاضر فوق تلك الجنة، فمهما كان انصبابه لم يزد تلك الجنة إلا حسنا.

وقابل أيضا بين تشبيه فساد نفس الصنف الأول بصفوان عليه تراب، وبين تشبيه زكاء حال الصنف الآخر بالجنة التي بربوة، فأفاد بالمشبه به الأول أن هذا المرائي الذي غرس نفقاته فوق صخرة علاها بعض التراب لا يمكنه أن يُجْدِي منها نفعا ولا يجنِي منها ثمرا، وذلك لفساد أصول مغارسها التي لا يَنْفذ إليها من جذورها شيء، بينما أفاد بالمشبه به الثاني _الجنة التي بربوة_ سعة العطاء العائد عليه بنواله ودوام انتفاعه به كحال تلك الجنة التي لم تؤت أكلها ضعفا واحدا بل ضعفين، ومما يؤكد معنى السعة وعظم العطاء تنكير لفظ "جنة" ووصفها بأنها بربوة، وهو المكان المرتفع .

ويلاحظ أنه في المثل الأول أسند للوابل فعلين، "الإصابة، والترك" "أصابه وابل فتركه"، فأفاد أن الوابل خرج من غاية النفع إلى غاية الضر، وهذا حال النفقة التي خالطها الرياء، فلم يجن صاحبها منها إلا حسرة على ما فَرَّط فيها، بينما أسند للوابل في المثل الثاني فعلا واحدا "أصابها وابل"، وأسند الفعل الثاني لضمير الجنة "فآتت أكلها ضعفين"، وربط بينهما بالفاء التي

للترتيب، فأفاد أن غاية الوابل هنا مقصورة على النفع، والذي ترتَّب عليه مضاعفة العطاء .

كما يُلْمَح أيضا تعقيب كل مثل منهما بما يُجْمِل غاية المعنى المراد منه، فأعقب المثل الأول بقوله: "لا يقدرون على شيء مما كسبوا"، فأفاد تأكيد غرض التشبيه من محق عملهم وضلال سعيهم مع عجزهم عن الحصول على شيء من جزاء نفقاتهم لبطلانها ومحقها، وأردف المثل الثاني بما يؤكد معنى حصول الجزاء على أيَّةِ حال، فقال: "فإن لم يصبها وابل فطل"، أي أن الجزاء كائن لا محالة سواء كان موجبه من الصدقة قليلا أم كثيرا (١) .

ولا يخفى تناسب تذييل المثلين بما يُلَخِّص مراد الحق منهما، فذيل المثل الأول بما يفيد التهديد والوعيد لمن خالف مراده وحاد عن حياض توجيهه، فقال: "وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ"، فنفى الهداية عن الكافرين يلزم منه ثبوتها للمؤمنين، إذن عليهم أن يهرعوا لرحاب أمره ويلبوا نداءه وتوجيهه، كما ذيل المثل الثاني أيضا بما يناسب معناه، فقال: "والله بما تعملون بصير" والتناسب بدا من جهة أن الرياء وازع قلبي يبدو من خلال الجوارح، وهذا الوازع القلبي لا سبيل لكائن ما كان أن يدرك كنهه أو يعلم مرماه إلا رب القلوب الذي يُقَلِّبها بين إصبعيه، فذيل الآية بتخصيص ذاته –سبحانه– بأنه ((عالم بكمية النفقات وكيفيتها والأمور الباعثة عليها، وأنه تعالى مجازي بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر))(٢) .

---

(١) ذكر الفخر الرازي في معنى "فإن لم يصبها وابل فطل"، أي "إن لم يصبها وابل يضاعف ثمرتها فلابد وأن يصيبها طل يعطي ثمرا دون ثمر الوابل، فهي على جميع الأحوال لا تخلوا من أن تثمر، فكذلك من أخرج صدقة لوجه الله تعالى لا يضيع كسبه قليلا كان أو كثيرا " مفاتيح الغيب ٦٢/٧

(٢) السابق ٧/ ٦٢.

٦- قال تعالى: (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (١)

لم يزل الحق -سبحانه- يُجَلِّى لعباده المؤمنين صورة محق الدرجات وسحق الجزاء الناتج عن عدم قبول النفقات التي قُصد بها غيره، أو التي نتج عنها مضرة سواء بمنٍ أو أذى، ويلاحظ اتفاق صورة المشبه به هنا مع الصورة السابقة، وهي الجنة التي هُيئ لها أسباب النضرة ودواعي مضاعفة الإنتاج، وإن اختلف مصير كل منهما، فالجنة التي بربوة في المثل السابق هي الصدقة التي توافر فيها أسباب القبول فكان مآلها البركة والنماء ودوام العطاء، والجنة في هذا التشبيه هي الصدقة التي اختل شرط من شروط قبولها فكان سبيلها الدمار والخراب .

ويبدو من توالى التشبيهات في الآيات الثلاث المتتالية مراعاة أسلوب الترقي بالمخاطب للوصول به إلى أتم صور التنفير من إهدار جزاء صدقاته وذهاب ثوابه، فبدأ أولا بالنهي عن إبطال النفقة ومحو أثرها بتشبيه ذلك بمحو الوابل أثر ترابٍ تراكم فوق صفوان، ثم وضع تلك الصورة بجوار صورة الجنة التي بربوة والتي أبانت عن الأثر الطيب للصدقة؛ ليدرك المخاطب بأم عينيه البون الشاسع بينها، ثم جاء بصورة الجنة التي أصابها إعصار فيه نار لينتزع بها ما بقى في النفس من الشوائب التي جُبلت عليها من محبة الرياء، وسل سخيمة المن والأذى من طينتها التي مُزِجت بهما، ويبدو تقارب مقصد صورة التشبيه هنا مع مقصد التشبيه في المثل الأول "كمثل صفوان عليه تراب"؛ حيث ((جعل المثل الأول في الحَبِّ، أي الذي على صفوان لآفة من تحته،-

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢٦٦

وهو الصفوان الذي لا ينفذ إليه شيء_ وجعل المثل في الجنة بجائحة من فوقه كأنهما جهتا طرو العلل والآفات من جهة أصل أو فرع))([1])، ومن هنا يبدو جلال النظم وتشابك الآيات الثلاث للإبانة عن مقصد واحد، وهو انتفاء أثر الأعمال

الصالحة يوم القيامة – والتي منها الإنفاق في وجوه الخير_ لعدم توافر ما يوجب قبولها، وقد تجلى هذا المعنى في المثل الثاني؛ لذا استحسنه المفسرون، فقال الفخر الرازي: ((وهذا المثل في غاية الحسن، ونهاية الكمال))([2])، وقال صاحب كتاب روح المعاني: ((وهذا أحسن من أن يكون تمثيلا لمن يبطل صدقته بالمن والأذى والرياء))([3]) .

ويتجلى لك هذا الحسن عند أول حرف استهل به تلك الآية وهو الهمزة التي للاستفهام الإنكاري "أيود"، فينكر المولى _سبحانه_ على من يرضى بذهاب رأس ماله من الحسنات في وقت هو أحوج ما يكون إليه وهو يوم القيامة، وهذا الاستفهام يهيئ القارئ ويضعه في قلب الحدث ليدرك بنفسه ويستشعر مدى الحسرة والخيبة والندامة التي يجنيها يوم القيامة مَنْ فرَّط في نفقاته وأهدرها بسوء نِيَّاته، كحال هذا البائس الذي فرط في تلك الجنة الغناء .

كما يبدو جلال هذا المثل من جهة التفصيل الذي خلا منه المثل السابق في وصف الجنة، فاكتفى في وصفها هناك بقوله: "جنة بربوة أصابها وابل"، بينما زاد هنا بيان ما احتوت عليه من أنواع الثمار بقوله: "جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ... لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ"، فخص أولا النخيل والأعناب لكونهما أغلب المتعارف عليه في الجزيرة العربية آنذاك؛ أو ((لأنهما أشرف

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي ٧٤/٤ دار الكتاب الإسلامي (القاهرة)

(٢) مفاتيح الغيب ٦٣/٧

(٣) روح المعاني للألوسي ٣٨/٢

الفواكه ... وأحسنها منظرا حين تكون باقية على أشجارها))(١)، ثم عمم بتوافر أنواع الثمار فيها ليزيد من تعلق النفس بها، ثم زاد من وصف بهائها وحسن روعة جمالها بقوله: "تجري من تحتها الأنهار"، وليس هذا في المثل الأول؛ لأنه أراد هنا وصف شدة كلف القلب بتلك الجنة الغناء، فكيف يفرط فيها من له قلب يعي وعقل يتدبر .

انتقل لوصف مدى احتياج صاحب تلك الجنة إليها في وقت لا يملك فيه غيرها فقال: "وَأَصابَهُ الْكِبَر"، فأسند فعل الإصابة للفاعل المجازي "الكبر" دلالة على تمكن الكبر منه وإحكام قبضته عليه بحيث لا يُمَكِّنه من السعي ضربا في الأرض ليبتغى من فضل الله، ولو اكتفى بهذا الوصف لأفاد معنى ضعف حيلته وقلة ذات يده وهوان جسده، ولكنه زاد من وصف أعباء هذا البائس الفقير بقوله: " وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ"، أي يعول أبناء وأحفادا أشد منه ضعفا وأقل منه سعيا، ولك أن تتخيل مدى شدة حاجة هذا البائس لتلك الجنة التي لا سبيل للعيش مع مَنْ يعول بدونها .

انتقل بعد ذلك لوصف ما حل بتلك الجنة من الدمار، وما لحقها من التحطيم والخراب، فأوجز ذلك في خمس كلمات بعد هذا التفصيل السابق ذكره، فقال:" فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ"، فأفاد بهذا الإيجاز مع فاء التعقيب في "فأصابها، فاحترقت"، سرعة انتفاء زهرة تلك الجنة الغراء، وعجلة الذهاب برونقها وتألق روعتها، فبعدما دام عطاؤها عليه واستمر نوالها مدة حياته لم تلبث أن صارت رمادا بين عَشِيّة وضحاها، ويلاحظ أنه جمع بين سببين من أسباب الدمار وهما الإعصار الذي يحتوي على نار؛ دلالة على شدة أخذها وإهلاكها، فلو اكتفى بالإعصار ربما توهم أنه اقتلع أو كسر بعض أشجارها، ولكنه لما جعله مشتملا على نار أفاد عموم استوائها بالأرض؛ لأن النار إذا ما شبت في شجر لا تبقي منه ولا تذر سواء كان أخضرا أو يابسا،

(١) ينظر مفاتيح الغيب ٦٣/٧ بتصرف يسير

أضف لذلك ما أفاده التنكير في لفظي "إعصار، نار" من التهويل والتفخيم من شأنهما.

لك أن تُدْرك الآن مدى الحسرة والندامة التي بلغت بهذا البائس يوم القيامة على ما فرط في ثواب نفقاته، وتراه يقلب كفيه على عدم مراعاة حق الله فيها، ويقول يا ليتني ابتغيت بها رضى ربي –سبحانه–.

ثم ذيل الآية بجملة تجمع مفادها الذي دارت حوله، وذلك لبيان الغرض من ضرب هذا المثل فقال: (("كَذلِكَ" أي: مثل ذلك البيان الواضح الجاري في الظهور مجرى الأمور المحسوسة " يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ" أي كي تتفكروا فيها وتعتبروا بما تضمنته من العبر وتعملوا بموجبها، أو لعلكم تُعْمِلون أفكاركم فيما يَفْنَى ويضمحل من الدنيا وفيما هو باق لكم في الآخرة فتزهدون في الدنيا وتنفقون مما أتاكم الله تعالى منها وترغبون في الآخرة ولا تفعلون ما يحزنكم فيها)) (١).

وهذا المثل قريب من المثل الذي في سورة آل عمران: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾(٢)، فكلا الصورتين تمثيل لذهاب ثواب الأعمال في الآخرة، إلا أن الأول سِيق لتحذير المؤمنين من ابتغاء غير وجه الله بنفقاتهم، فقال في ختامها: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾(٣)، والثاني إخبار بمحق جزاء نفقات الكافرين، فقال قبل تلك الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ

(١) روح المعاني للألوسي ٣٨/٢

(٢) سورة آل عمران ، آية رقم ١١٧، والصر قيل شدة البرد، وقيل شدة الحر، اللسان مادة صرر ٣٢١/٧، ٣٢٢

(٣) سورة البقرة، جزء من آية رقم ٢٦٦

عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ }(١)، ولما كانت عناية الحق –سبحانه– بإرشاد المؤمنين لما فيه صلاحهم، بدا التهويل في تشبيه آية البقرة بارزا عما في صورة آل عمران بقصد التحذير من التهاون في هذا الأمر وسرعة الامتثال لمراده، ويتضح هذا التهويل من عناصر صورة التشبيه في الآيتين؛ فقال في البقرة: "إعصار فيه نار" وفي آل عمران "ريح فيها صر"، ولا يخفى على أحد تفاوت صورة الإعصار المشتمل على النار، عن الريح التي فيها صر .

كما بدا عنصر التأثير في آية البقرة أجلى من جهة جعل المخاطب هو مدار الأحداث في قوله: "أيود أحدكم أن تكون له جنة ..."، بينما بَعُدَ هذا العنصر قليلا في آية آل عمران بجعل الحرث لقوم ظلموا أنفسهم وليس للمخاطب نفسه .

زادت آية البقرة بكثرة التفصيلات في جانب وصف الجنة، وكذا في جانب وصف شدة احتياج صاحبها إليها، مما آثار عنصر التشويق في النفس لمعرفة منتهى أحداث تلك القصة القصيرة، وهذا مناسب لشوق النفس وتطلعها لمعرفة منتهى حال المرائي بعطائه، بينما تغاضت آية آل عمران عن ذلك ببيان سرعة هلاك هذا الحرث بفاء التعقيب في قوله: "أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته" .

(١) سورة آل عمران، آية رقم ١١٦

المحور الثالث

بيان ما يشترط في العطية، من أمور تمنحها القبول من الله (ﷻ)

٧_قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ (١).

بعد ما جلا النظم القرآني المحور الأول المتعلق بالمنفقين، وأبان عن مآل حالهم المترتب على قبول الله (ﷻ) لنفقاتهم أو ردها، شرع في بيان ما يتعلق بالنفقة نفسها، فاشترط أن تكون من كسب طيب؛ لأن الله –سبحانه– طيب لا يقبل إلا طيبا، فقال: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ"، وهذا النداء قريب من النداء السابق لآيات الدراسة، وهو: "**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ**"، ولكن لكل منهما غرض، فغرض النداء الأول الحث على الإنفاق قبل إدراك الموت؛ لذا جاء الأمر بالإنفاق فيه عاما "مما رزقناكم"، ولما كان إدراك الرزق من طرق ربما شابها شيء من الحرام جاء هذا النداء ليشترط تحري الحلال الطيب عند الإنفاق وجعله مسوغا لقبول النفقات.

كما يعد هذا النداء هو النداء الثاني في سياق آيات الدراسة، فالنداء الأول جاء للنهي عن إبطال الصدقة بالمن والأذى والرياء، "**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ**"، ثم أتى بالنداء الثاني للحث على الأنفاق من الحلال الطيب، وربما كان الداعي لتكرار النداء مع أنه لو قال: "وأنفقوا من طيبات ما كسبتم" لاستقام المعنى؛ ولكنه أعاد النداء للتنبيه على

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢٦٧

ضرورة مراعاة مضمون الندائين عند الإنفاق؛ أي: أحرصوا على ألا تبطلوا نفقاتكم بمنٍ أو أذى أو رياء، بالإضافة لتحري إخراجها من الحلال الطيب، وبهذا يكون قد ربط بين شرطي قبول الصدقة وهما: إخلاص النية لله (ﷻ) مع تحري الحلال الطيب فيها، والله أعلى وأعلم .

ويلاحظ أن جملة "أنفقوا من طيبات ما كسبتم" هي مدار الآية وقطب رحاها، فكل ما بعدها راجع إليها ومفاد منها، فقوله : "**وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ**" من عطف الخاص على العام، فأجمل الكسب الذي لا منتهى لحصره في قوله: "ما كسبتم"، ثم خص من الكسب الموجب للإنفاق ما مَنَّ الله به على عباده مما تخرجه الأرض، فأفاد بعطف الخاص على العام أن أغلب الكسب هو مما يستخرج من الأرض خاصة، سواء كان هذا الكسب بزراعة أو ما ينتج عنها من تجارة أو صناعة أو ما شابه ذلك، وتأمل نون العظمة في "أخرجنا" الدالة على عظيم قدرته وتفرده –سبحانه– بالمنِّ على عباده بجعل أرزاقهم تحت أقدامهم لتطمئن قلوبهم بإدراكها ونيلها، وليعلموا أنهم بقدر الإنفاق منها يكون الإخلاف، ﴿ **وَمَا أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ** ﴿٣٩﴾ ﴾(١) .

وقوله: "**وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ** "، نهي عن تعمد إخراجها من السيئ الرديء؛ لأنها تقع في يد الله (ﷻ) قبل الفقير، وما كان لله أن يقبل الخبيث، وبهذا النهي يكون قد أضاف شرطا آخر يعضد الشرط السابق، فلم يكتف بكون النفقة من الحلال الطيب بل لابد أن يتحرى فيها أيضا الحسن الجيد .

(١) سورة سبأ، آية رقم ٣٩

ثم تأمل تنفير المولى –سبحانه– من إنفاق الخبيث بقوله: "**وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ**"؛ أي: لو عُرض عليكم هذا الخبيث الذي أخرجتموه ما قبلتموه إلا على مضض وكره منكم، فجعل المعطِي يستشعر خسة فعلته بوضعه في موضع المعطَى له؛ لِيُعْلِمه أنه لولا اضطرار الفقير ما قبله، وهذا من جليل حسن الإبانة عن تضرر الفقير من النفقة الرديئة، وقد ذكر المفسرون للإغضاء عدة معاني(١)، والأقرب منها أنه من أغمض عينه؛ أي: أطبق جفنيه، وعليه يكون مستعار هنا لمعنى التغافل والتساهل في قبول هذا الرديء، أي لولا تغافلكم وتجاوزكم عن رداءته ما قبلتموه .

وفي تذييل الآية بقوله: "**وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ**" ما يناسب مضمونها بتوعد المخالف وإثابة المطيع؛ أي: غني عن قبول مثل هذه الصدقات التي يشوبها الحرام أو يكون أغلبها من الرديء، "حميد" لمن امتثل أمره ورجع عن هذه العادات السيئة.

(١) ينظر مفاتيح الغيب ٦٨/٧، ٦٩

المحور الرابع

الكشف عن أسباب إعراض النفس عن البذل في سبيل الله وسُبل النجاة منها

٨ـ قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨ ﴾ (١).

أجملت تلك الآية دافع الإعراض عن النفقات، وهو ما يسوله الشيطان للمرء ويقذفه في قلبه من كون مداومة العطاء تجلب الفقر وتستدعي الإملاق، وهذا ما أفاده لفظ المشاكلة في قوله "يعدكم الفقر" والمراد يحذركم الفقر بدوام الإنفاق، فعبر عن التحذير بـ"الوعد"؛ لوقوعه في صحبة هذا اللفظ حقيقة وهو قوله: "والله يعدكم "، وقد أبان لفظ المشاكلة عن مدى يقين النفوس التي يجد الشيطان فيها صدى لمَا وعد به، فتُسلِّم لدعواته الواهية وتذعن لنداءاته الكاذبة كما يذعن المرء وَيُسَلِم لما هو كائن حتما، وقد قابل نظم القرآن بين وعد الله – سبحانه– ووعد الشيطان؛ لبيان مآل كل منهما، فالوعد من الله مآله تحقيق الموعود به وهو مضاعفة أجر العطاء في الآخرة وإخلافه عليه في الدنيا_ كما أخبر بذلك في قوله: "**وَمَا أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ** "–، ومآله من الشيطان الحياد بالمرء عن السعي بالنفقات في وجوه الخير فيُحرم موعود الله (ﷻ) في الدنيا والآخرة .

وقد اختلف المفسرون في معنى "الفحشاء" في قوله: "ويأمركم بالفحشاء"، فحمله البعض على معنى العموم وهو: كل ما فحش من القول أو الفعل(٢)، وعليه يكون هذا من قبيل عطف العام على الخاص، فالشيطان يدعو لكل فحش والذي منه الإمساك بالمال المعبر عنه في الآية بالوعد

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢٦٨

(٢) ينظر لسان العرب ١٩٢/١٠ مادة فحش

بالفقر، كما حمله البعض على معنى الخصوص وهو البخل، فالعرب تسمي البخيل فاحشا([1])، وعليه يكون الأمر بالفحشاء وهو "البخل" تأكيد لمعنى تحذير الشيطان من الفقر، أي يحذركم من فقد المال بدوام الإنفاق ويحملكم علي الضن به .

وإن كان حَمْل اللفظ على العموم أولى؛ لأن سياق آيات الدراسة جاء لسد مداخل الشيطان للنفس الإنسانية وغلق محاولاته في إضلال سعيها نحو ربها من جهة صدقاتها، فحذرت أولا من مداخله التي يسعى منها لإبطال نفقاتها وذهاب ثوابها بالمن والأذى والرياء، ثم جاء التحذير هنا من جهة مداخلته للنفس من باب ما جبلت عليه من محبة المال والسعي في جمعه وكنزه، والبخل لا شك أنه مفتاح كل شر وفحش كما أخبر بذلك المصطفى (ﷺ)، فعن أبي هريرة أنه قال: ((إياكُم والشُحَّ فَإنَّهُ أَهلكَ مَن كَانَ قَبلَكُم، سَفَكُوا دِماءَهُم، وقَطَعُوا أَرحَامَهُم، والظُلمُ ظُلماتٌ يَوم القِيامَةِ))([2])، كما أن في حمل اللفظ على العموم يستقيم المعنى من جهة مقابلة اثنين باثنين كما ذكر عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) عنه بقوله: ((في الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله تعالى))([3])، فقابل وعد الشيطان بالفقر بوعد الحق بالزيادة والفضل، كما قابل أمر الشيطان بالفحشاء بوعد الله بالمغفرة للعبد إن رجع وأناب .

ويلاحظ أن الآية أشبه بصور اللف والنشر غير المرتب؛ حيث ذكر أولا وعد الشيطان بالفقر وأمره بالفحشاء، ثم جاء النشر على غير ترتيب اللف، فقدم وعد الله بالمغفرة على وعده بالفضل والزيادة، وربما كان السر في ذلك هو الترغيب في سرعة الرجوع إلي رحاب الله (عز وجل) وعدم اليأس من كثرة الوقوع في الزلات والفحشاء والتي منها إبطال الصدقات بالمن والأذى والرياء،

---

(١) السابق ١٩٣/١٠

(٢) كتاب الأدب المفرد للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري ٢٣٨/١، تحقيق سمير بن أمير الزهيري، مكتبة المعارف (الرياض) الطابعة الأولى ١٤١٩هـ_ ١٩٩٨م

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٣٦٤/١

وناسب هذا المعنى صياغة الفعلين "يأمركم، يعدكم مغفرة" في قالب المضارع الدال على التجدد والحدوث، فكما أن دأب الشيطان الأمر بالفحش بكل صوره فوعد الله بالمغفرة متجدد بتجدد زلات النفس وهفواتها .

وفي تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في طرفي الآية "الشيطان يعدكم الفقر" "والله يعدكم مغفرة منه" ما يفيد تأكيد المعنى وتقريره، ولكنه زاد من تأكيد وعد الله بقوله: "منه" فكون الوعد من الله أمر لا يحتمل سوى التحقيق، كما أن في تقديم ذكر الشيطان في صدر الآية مناسب لغرض الآيات السابقة التي جاءت لتحذير النفس البشرية من الوقوع في مكايده بإبطال الصدقات، أو حملها على البخل بالمال من خلال التحذير من الفقر .

وتذيل الآية بقوله "والله واسع عليم" مناسب أيضا لمضمونها، فلما أخبر بتحقيق وعده بمعاودة العطاء وصف ذاته بأنه واسع، أي: واسع فضله رحب عطاؤه، ولما أخبر بأثر نزعات الشيطان في النفوس واستجابة بعضها له، جاء بالوصف الثاني "عليم"؛ ليخبر عن كونه عليم بأثر تلك النزعات في القلوب وسيجزي كل نفس بقدر قبولها أو الإعراض عنها . والله أعلم

٩_قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ (١)

عند قراءة تلك الآية يبدو لأول وهلة انقطاع سياق الحديث عن النفقة بالحديث عن تفضل الله (ﷻ) على بعض عباده بما يهبهم من الحكمة وإدراك عواقب الأمور، ولكن بإمعان النظر يتراءى للمتدبر تناسب الحديث عن الحكمة مع سياق الآيات تلاؤما استدعى الحديث عنها، فسياق الآيات السابقة جاء لسد مداخل الشيطان للنفس الإنسانية بما جُبلت عليه من محبة المال والضن به، ومحبتها التفضل بالعطاء سواء بالمن أو الرياء، وإيثارها ادخار

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢٦٩

الجيد وإخراج الخبيث، فإدراك تلك المداخل وحمل النفس على تفاديها يعد من صميم معاني الحكمة التي لا يحظى بها إلا من مَنَّ الله عليه واصطفاه بشيء من أنوار حكمته .

وقد اختلف المفسرون في معنى الحكمة ومراد الله منها، فحصرها صاحب تفسير البحر المحيط في تسع وعشرين مقالة لأهل العلم، وربما كان أقربها لمفاد السياق مقولة أبي عثمان أنها "نور يفرق به بين الوسواس والمقام"(١) وهذا المعنى مفاد من الآية السابقة التي وُضِع فيها وعد الشيطان مقابل وعد الله، فسُكون قلب العبد بإنجاز وعد الله (ﷻ) وحياده عن وعد الشيطان دليل اصطفاء الله له بالحكمة .

وعند إمعان النظر في صياغة الآية يلاحظ أن فيها ما يؤكد جلال معنى الحكمة وجلال فضل المُنْعَم عليه بها، فمما يؤكد جلال المُنْعَم عليه بها استهلال الآية بمادة الفعل "يؤت" التي وردت في أغلب سياقات الكتاب العزيز بمعنى المن والتفضل من الله (ﷻ) على عباده الأخيار، ويلاحظ تكرار تلك المادة في الآية، فجاءت مرة بصيغة المضارع "يؤت"، فأفادت معنى التجدد والحدوث، أي تجدد الإيتاء وحدوثه من الله (ﷻ) مرة بعد مرة، فليست الحكمة محجورة على أناس دون غيرهم وإنما هي متحققة لمن سعى لها سعيها، واستحق بهذا السعي أن يدخل في مشيئة الله باستحقاقها _يؤت الحكمة من يشاء_، وهذا السعي لا يكون إلا بمجاهدة الشيطان وسد مداخله في كل مرة يحاول مزاولة النفس والولوج إليها من خلال المداخل التي جُبلت عليها سواء في باب النفقة أو في غيرها من تعاليم الإسلام ومبادئه .

ومما يؤكد جلال فضل الحكمة وعظيم أثرها على العبد صياغة الجملة التالية في قالب الشرط _"وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً "_

(١) ينظر كتاب البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي ٢/ ٦٨٣، ٦٨٤، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – (بيروت) ١٤٢٠ هـ

فأفاد بترتب الجواب على فعل الشرط أن الخير كل الخير يكمن في تفضل الله (ﷻ) على عبده بالحكمة، وأكد ذلك بتنكير لفظ "خير" الدال على عظم هذا الخير، وزاد التأكيد تأكيدا بالوصف "كثيرا" ودخول حرف التحقيق "قد" على الجواب "فقد أوتي"، وفي بناء فعل الشرط للمعلوم _يُؤْتَ_ ما يؤكد مزيد العناية بالفعل وهو الإيتاء، ((والنحاة يقولون: إن الفعل قد يبنى للمجهول للإشارة إلى أن العناية كلها للفعل))(١)، وهذا يؤكد جلال المعطى، وفي تعريف "الحكمة" ما يفيد معنى كمالها (٢) .

كما أفاد عظم فضل الحكمة من جهة أخرى وهي وضع المظهر موضع المضمر، فقد سبق ذكرها بلفظها في قوله: "يؤت الحكمة من يشاء"، ولكنه أعادها بلفظها لتقرير المظهر وتمكين مفاده في القلوب(٣)، ومعلوم أن الحكمة شيء معنوي ولكنه جعلها حسية من جهة الاستعارة المكنية في قوله: "يؤت الحكمة من يشاء"؛ وذلك لبيان فضلها وجلالها بأنها عطية الله ومنته على بعض عباده .

وفي ختام الآية بالتذييل الذي يجري مجري المثل:" وَما يَذَّكَّرُ إلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ" ما يتلاءم مع مضمون الآية؛ أي: لا يدرك هذا الفضل الجَمّ الذي يجنيه العبد من الحكمة وما تجلبه عليه من الخير إلا أصحاب العقول النيرة التي ذاقت من فضائلها ونالت من خيراتها، فاستراحت نفوسهم وسكنت أفئدتهم؛ لأنهم أيقنوا من خلالها أن ما كان لله من العمل الصالح دام فضله على العبد واتصل، وما كان لغيره فني وانقطع، وقد أكد هذا المعنى بأسلوب

(١) الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء أ . د / محمد محمد أبو موسى ص : ٣٧٦، الطبعة الثانية ١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢ م ، مكتبة وهبة (عابدين _ القاهرة)

(٢) ينظر نظم الدرر ٩٤/٤، ٩٥

(٣) ينظر خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، أ . د /محمد محمد أبو موسى ص٢٨٣، مكتبة وهبة (عابدين _ القاهرة) ، الطبعة الثامنة ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٩ م

القصر من طريق النفي والاستثناء، فقصر التذكر والتدبر على أصحاب العقول النيرة التي ترنوا إلى عواقب الأمور لمعرفة غاية مآلها .

١٠_ قال تعالى: (وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾) (١)

ذكر صاحب التحرير والتنوير أن تلك الآية ((تذييل للكلام السابق المسوق للأمر بالإنفاق وصفاته المقبولة والتحذير من المثبطات عنه))(٢)، أي أن الآية قد أجملت ما سبق بيانه من أحوال المبتغي بنفقاته وجه الله (ﷻ) والمبتغى بها غيره، وهذا الإجمال يكمن في قوله: "فإن الله يعلمه"؛ أي يعلم حال كل منفق وغرضه من نفقته ومجازي كل بنيته، فمن كان غاية نفقاته ابتغاء رضا الله –سبحانه– استحق أن يكون من الذين بشرهم من قبل بقوله: "لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون"، ومن كان غاية نفقاته إرضاء نفسه ونزوات شيطانه كان من الظالمين "وما للظالمين من أنصار"، وقد جاء نظم الآية على نسق الآيات السابقة من جهة مقابلة الوعد بالوعيد، فالوعد كائن من جهة الكناية في قوله:" فإن الله يعلمه"؛ ((لأن علم الله بالكائنات لا يشك فيه السامعون، فأريد به لازم معناه)) (٣) وهو الجزاء الحسن، والوعيد كائن من جهة التصريح "وما للظالمين من أنصار" .

وإخبار الله (ﷻ) في الآية باطلاعه وعلمه بكل نفقة ونذر، خير داع للمرء لاستحضار هذا الحضور والاطلاع من الله عند كل نفقة ينفقها، فيكون هذا الاستحضار خير مُعين له على التصدي لنزغات شيطانه المؤدية لمحق صدقاته، فإذا ما دعاه شيطانه إلى المن بعطائه أو مُرَاءَاة الناس بنواله استحضر علم الله (ﷻ) بخفايا نفسه فكان ذلك رادعا له، وإذا ما سول له

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢٧٠

(٢) التحرير والتنوير ٣/٦٥

(٣) التحرير والتنوير ٣/٦٦

شيطانه إخراج الرديء وإيثار نفسه بالجيد استحضر اطلاع الله عليه فكان ذلك زاجرا له، وبهذا تكون الآيات قد أبانت خير بيان عن الداء الذي يفسد على المنفق نفقاته والدواء الذي يسوغ قبولها ومضاعفة جزائها عند الله –سبحانه–.

ويلاحظ أن الآية قد أدمجت الحديث عن النفقة بالحديث عن النذر في سياق الإخبار بعلم الله بهما، وربما كان السر في الجمع بينهما هو التنبيه على إصلاح النية في النفقة والنذر وجعلها خالصة لوجه الله وابتغاء مرضاته دون إشراك غيره فيها؛ لأن المنفق ربما أعطى رغبة في جلب مصلحة من المُعْطَى له، وكذا الناذر ربما اعتقد أن النذر جالب للأمر الذي نذر من أجله، ومما يؤكد هذا الملمح ختام الآية بقوله: "وما للظالمين من أنصار" والذي اتفق مع ختام آية المائدة التي نهى فيها عيسى (عليه السلام) قومه بإشراكه مع الله في العبادة فقال:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ ﴾(١)، فمسوغ الجمع هو الدعوة لإخلاص النية لله (عز وجل) في العبادة وعدم جعلها وسيلة لغرض آخر، والله أعلم.

وقد ذكر الشيخ ابن عاشور أن مفاد ذكر النذر هو: ((الترغيب في النذر غير المعلق))(٢)؛ لأن النذر المعلق ربما لم تكن النية فيه خالصة لوجه الله (عز وجل)، ويكون الدافع من ورائه هو الرغبة في تحصيل ما نذر من أجله؛ وهذا ما أشار إليه حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ((إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَدِّمُ شَيْئًا، وَلاَ يُؤَخِّرُ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنَ الْبَخِيلِ))(٣) .

(١) سورة المائدة آية رقم ٧٢

(٢) التحرير والتنوير ٣/٦٥

(٣) مختصر صحيح البخاري ٤/١٨٧

١١ـ قال تعالى:﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾ (١)

تتضح المناسبة بين تلك الآية والتي سبقتها من جهة أن السابقة داعية إلى استحضار علم الله (ﷻ) بما يداخل النفس عند إخراج الصدقات، ودافعة إلى إخلاص النية إليه حتى تنجو النفس من شراك الشيطان الذي يسعى لإفساد النفقات عليها، وهنا دعت الحاجة إلى بيان حال صدقات العلن التي ربما كانت سببا في إحجام البعض عنها بداعي مخافة الوقوع في الرياء الذي هو مدخل من مداخل الشيطان للنفس، فجاءت تلك الآية لتشير إلى قبول صدقة العلانية والسر على حد السواء إذا ما كان مَرَدُّ النية فيهما لله وحده، فغرض هذه الآية هو ترسيخ فكرة الإخلاص لله في السر والعلن التي نصت عليها الآية السابقة(٢)، مع بث وازع الإنفاق على أي حال في السر أو العلن.

---

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢٧١

(٢) ذكر الإمام الفخر الرازي صورة لعض عباد الله الذين داوموا على مجاهدة النفس ووساوس الشيطان حتى بلغوا درجة الإخلاص لله وحده وأصبحوا لا يشغلهم أمر الإنفاق سرا أو علانية، فقال: ((إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا رَاضُوا أَنْفُسَهُمْ حَتَّى مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ هِدَايَتِهِ فَتَرَاكَمَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَنْوَارُ الْمَعْرِفَةِ، وَذَهَبَتْ عَنْهُمْ وَسَاوِسُ النَّفْسِ، لِأَنَّ الشَّهَوَاتِ قَدْ مَاتَتْ مِنْهُمْ وَوَقَعَتْ قُلُوبُهُمْ فِي بِحَارِ عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِذَا عَمِلَ عَمَلًا عَلَانِيَةً لَمْ يَحْتَجْ أَنْ يُجَاهِدَ، لِأَنَّ شَهْوَةَ النَّفْسِ قَدْ بَطَلَتْ، وَمُنَازَعَةَ النَّفْسِ قَدِ اضْمَحَلَّتْ، فَإِذَا أَعْلَنَ بِهِ فَإِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ غَيْرُهُ، فَهَذَا عَبْدٌ كَمُلَتْ ذَاتُهُ فَسَعَى فِي تَكْمِيلِ غَيْرِهِ لِيَكُونَ تَامًّا وَفَوْقَ التَّمَام)) مفاتيح الغيب ٧٩/٧.

ولا يخفى على متدبر تفضيل الآية صدقة السر على صدقة العلن؛ حيث قال في شأن إبدائها: "فنعما هي"، فـ "نعم" فعل جامد لإنشاء المدح"(١) أي: فنعما إبداؤها، وقال في شأن إخفائها "فهو خير لكم"، ولا شك أن الخيرية أجل من المدح، وقد ذكر الإمام الفخر الرازي وجوه الخيرية في الإسرار بها للمعطِي والمعطَى له، ففضلُها للمعطِي أنها أبعد عن الرياء والسمعة، وأطمس لشخصه فلم يحصل له بين الناس شهرة ومدح وتعظيم، وقد كثرت الأحاديث التي تؤكد تلك الأفضلية من حيث عظم الجزاء(٢)، ومن ثمرات إخفائها في جانب المُعْطَى له أنها أبقى على صيانة عرضه من الفقر، كما أنها أبقى على ماء وجهه من الذلة والهوان، وحفظه من ألسنة الناس الذين يظنون أنه أخذها عن ظهر غنى (٣) .

وقد جاء نسق الآية على غرار سياق الآيات السابقة من جهة المطابقة والمفاضلة بين المتطابقين، فطابق هنا بين الإبداء والإخفاء، وفَضَّل الإخفاء على الإبداء، كما طابق من قبل بين "القول" المعروف، "والفعل" المتمثل في الصدقة التي يتبعها منٌ أو أذى في قوله: " قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى"، وفضل القول المعروف على الفعل أي الصدقة التي يتبعها أذي، وكذا مقابلته بين من ابتغى بصدقته وجه الله(ﷻ) وبين من ابتغى بها وجه الناس بالرياء، وبين وعد الله –سبحانه– ووعد الشيطان، فكل

(١) ينظر إعراب القران الكريم وبيانه ١/ ٤٢١ تأليف محي الدين الدرويش دار الإرشاد للشؤون الجامعية (حمص_ سورية) الطابعة الثالثة ١٤١٢هـ_ ١٩٩٢م

(٢) عن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي(ﷺ) قال: ((سبعةٌ يُظلُّهم اللهُ في ظلِّهِ، يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه: الإمامُ العادلُ، وشابٌّ نشأَ في عبادةِ ربِّهِ، ورجلٌ قلبُه معلَّقٌ في المساجدِ، ورجلانِ تحابَّا في اللهِ؛ اجتمَعا عليهِ وتفرَّقا عليهِ، ورجلٌ طلَبتْهُ امرأَةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجَمالٍ إلى نفسها فقالَ: إني أخافُ اللهَ، ورجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تَعلَمَ شمالُهُ ما تنفقُ يمينُه، ورجلٌ ذكَر اللهَ خالياً ففاضَت عيْناهُ، مختصر صحيح البخاري ٢١٢/١

(٣) ينظر مفاتيح الغيب ٧/ ٧٨، ٧٩ بتصرف

هذه المقابلات سمة بارزة في سياق نظم تلك الآيات؛ كي تجلى أمام القارئ مآل كل طرف منها، ومنتهى عاقبته فيتخير ما هو أنفع له وأجدى .

ويتضح أن الآية هنا نصت في جانب الحديث عن إخفاء الصدقة على إتيانها للفقراء في قوله: "وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء"، فذكر صاحب التحرير التنوير قول العصام عن السر في ذلك قائلا: ((قَالَ الْعِصَامُ: " كَأَنَّ نُكْتَةَ ذِكْرِهِ هُنَا أَنَّ الْإِبْدَاءَ لَا يَنْفَكُّ عَنْ إِيتَاءِ الْفُقَرَاءِ؛ لِأَنَّ الْفَقِيرَ يَظْهَرُ فِيهِ وَيَمْتَازُ عَنْ غَيْرِهِ إِذْ يَعْلَمُهُ النَّاسُ بِحَالِهِ، بِخِلَافِ الْإِخْفَاءِ، فَاشْتُرِطَ مَعَهُ إِيتَاؤُهَا لِلْفَقِيرِ حَثًّا عَلَى الْفَحْصِ عَنْ حَالِ مَنْ يُعْطِيهِ الصَّدَقَةَ" (أَيْ لِأَنَّ الْحَرِيصِينَ– مِنْ غَيْرِ الْفُقَرَاءِ– يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَتَعَرَّضُوا لِلصَّدَقَاتِ الظَّاهِرَةِ وَلَا يَصُدُّهُمْ شَيْءٌ عَنِ التَّعَرُّضِ لِلصَّدَقَاتِ الْخَفِيَّةِ))(١)، فكان النص على إيتائها للفقراء من باب التحري والتثبت من استحقاق المُعطَى له لتلك النفقة .

كما يلاحظ أنه غاير الجزاء هنا بقوله: "**وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡ**"، ولم يذكر أنها سبب في مضاعفة الجزاء على غرار ما سبق في أول آية من آيات الدراسة: "**مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ....وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ**"، وقوله في الآية التالية لها: "**ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ..... لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ**"؛ وقوله: "**وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ**"، وكذا في آخر آية في سياق تلك الآيات "**ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ ... فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ**"؛ ليشير إلى أن فضائل الصدقة لم تقتصر على مضاعفة الجزاء فحسب، وإنما تكون أيضا سببا في التكفير من سيئات العبد ما دام قد ابتغى بها وجه الله –سبحانه–.

(١) التحرير والتنوير ٦٨/٣

وفي تذييل الآية بقوله: "وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ"؛ أي خبير بغرض كل متصدق سواء في السر أو العلن، ومجازي كل بما انطوت عليه سريرته؛ لأنه ربما كان الإعلان بها أولى من الإسرار وذلك في مواطن الدفع للاقتداء به والحث عليها، وقد روي ابن عمر (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: ((السر أفضل من العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء))(١)، فقرر بالتذييل ما دعت إليه الآية من اطلاع الله على سرائر العباد وغرضهم من صدقاتهم فيجازي كل بنيته .

١٢ـ قال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٢ ﴾ (٢)

يتضح من سبب نزول الآية علاقتها بسياق الحديث عن الإنفاق، فقد ((رُوِيَ أَنَّه كَان لأسماء ابنة أَبِي بكر أُمٌّ كَافِرَة وَجَدّ كَافِر فَأَرَادَتْ أَسْمَاء أَنْ تُواسِيَهُما بِمَالٍ، وَأَنَّه أَرَادَ بَعْض الْأَنْصَار الصدَقَةَ عَلَى قَرَابَتِهِم وَأَصهارِهِم فِي بَنِي النَّضِيرِ وَقريظةَ، فَنهى النَّبِي (ﷺ) المُسلِمِين عَن الصدَقَة عَلَى الكُفَّارِ، إِلجَاءً لأولَئكَ الْكفَّار عَلَى الدخول في الإسلام، فَأَنْزل اللهُ تَعالى: لَيْسَ عَلَيك هداهم)) (٣) .

فهذا عن ظاهر الآية وسبب نزولها، ولكن عند ربطها بسياق الآيات السابقة يتبين أنها تدور في فلك الحث على البذل مع إخلاص النية لله (ﷻ)

---

(١) شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي، ٢٤٢/٩ حققه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

(٢) سورة البقرة، آية رقم ٢٧٢ .

(٣) التحرير والتنوير ٦٩/٣، ٧٠ .

بالعطاء حتى ولو كان المُعْطَى له على غير ملة الإسلام، فربما كانت تلك الصدقة تأليفا لقبله وترغيبا لدخوله في دين الإسلام طواعية دون حمله عليه؛ لأنه لو علم أن هذا حال الإسلام مع غير المسلمين كان أدعى لاعتناقه، ومن هنا كان استهلال الآية بنفي الهداية من النبي (ﷺ) لهؤلاء وإثباتها لإرادة الله (ﷻ) – من جهة أداة الاستدراك "لكن" التي تُثْبت حكما يخالف المحكوم عليه قبلها(١)–، دعوة للبذل على أي حال كان، "والهدى الذي ليس على النبي (ﷺ) هو خلق الإيمان في قلوبهم، أما الهدى الذي هو الدعاء فهو عليه"(٢).

ثم يقرر المولى –سبحانه– بقوله: "وما تنفقوا من خير فلأنفسكم" أن اختلاف العقائد ليس معوقا في قبول الصدقة والجزاء عليها، فعدم تقييد الإنفاق في وجه من الوجوه أفاد أن كل متصدق مجزي بصدقته ومثاب بها سواء صادفت موطنها أو لم تصادف(٣)، وهذا من سماحة تعاليم هذا الدين العظيم، أن أمر أتباعه بوجوه الإحسان حتى مع من ليس على ملة الإسلام، كما هو الحال في الأمر بالإحسان للوالدين وإن كانا مشركين .

---

(١) ينظر كتاب الجني الداني في حروف المعاني ٦١٥، صنعه: الحسن بن قاسم المُرادي، ت: د فخر الدين قباوه، أ.محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية (بيروت _ لبنان)، الطبعة الأولى : ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م .

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣٦٧/١ .

(٣) وهذا يقرره حديث أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) قال: قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، قَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، قَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ " صحيح مسلم ٧٠٩/٢ .

وقوله: "وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ" إما أن يكون معطوفا على ما قبله، والمعنى ((ولستم في صدقاتكم على أقاربكم من المشركين تقصدون إلا وجه الله، فقد علم الله هذا من قلوبكم، فأنفقوا عليهم إذا كنتم إنما تبتغون بذلك وجه الله في صلة رحم وسد خلة مضطر))([1])، أو هو خبر بمعنى الإنشاء؛ وغرضه النهي أن يكون الإنفاق لغير وجه الله، أو الأمر بأن يكون إنفاقهم غايته ابتغاء وجه الله، وصياغة الإنشاء في ثوب الخبر فيه تلطف بالخطاب واستمالة له للامتثال للمطلوب، أو يكون المعنى على القصر؛ أي: لا نفقة مرجو منها الفضل من الله والخير إلا ما كانت غايتها ابتغاء وجه الله (ﷻ) لا لغرض آخر، وأفاد القصر من طريق النفي والاستثناء هنا مزيد ترسيخ لفكرة إخلاص النية لله (ﷻ)، والتي هي قطب الرحى الذي دارت عليه آيات الدراسة وعمودها الذي قامت به .

وقوله: "وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ"، يتضمن معنى الجملة الأولى "وما تنفقوا من خير فلأنفسكم"، فالمتصدق بالخير يجنى ثمار ما أنفقه بذات نفسه، وزاد هنا الوعد بمزيد الوفاء بالعطاء في الدنيا بما يخلفه الله على المتصدق، وفي الآخرة بمضاعفة الجزاء الذي سبق بيانه في أول آيات الدراسة، وهذا المعنى مفاد من عدم تقييد الوفاء في الآية بالدنيا أو الآخرة، فدل على عمومه في الدارين بما يناسب كلا منهما، وجملة "وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ"، تذييل أكد به مضمون الآية من ضمان الله (ﷻ) حق كل متصدق سواء أداها على أكمل وجه أم قصر في جانب من جوانبها، فكل مجزى بنيته، وزاد من تأكيد معنى الجملة بتقديم المسند إليه "أنتم" على الخبر الفعلي "لا تظلمون" .

(١) مفاتيح الغيب ٨٤/٧

المحور الخامس

الكشف عن الموطن التي هي أولى بالصدقات

١٣ـ قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ (١)

هذا هو المحور الأخير الذي دارت حوله آيات الدراسة، فبعد أن فرغ من بيان ما يشترط في حال المُعْطِي من أمور أدعى إلى قبول صدقته من إخلاصه النية لله (ﷻ) وعدم إرداف صدقته بأذى، وما يشترط في حال العطية من كونها من جيد الكسب وطيبه، جاء هنا ليحث على تحري مواطن وضع تلك النفقات في مواطنها التي هي أحق بها وأهلها، فقال جل شأنه "لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ"، فاللام هنا متعلقة بما سبق بيانه من الحث على الأنفاق؛ أي ذلك الإنفاق المحثوث عليه للفقراء، أو متعلقة بمحذوف تقديره الإنفاق للفقراء، أو الصدقة للفقراء(٢) .

ثم أراد مزيد بيان لحال هؤلاء الفقراء الذين هم أحق من غيرهم بالصدقات؛ لِيُيَسر على المتحري العثور عليهم، فقال في أول صفاتهم أنهم: "أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ"، والحصر: المنع، وقد ذكروا عدة معاني للمراد بالحصر في سبيل الله، منها: أنهم حَصَرُوا أنفسهم ووقفوها على الجهاد، ومنها: أنهم مُنِعوا من التصرف في التجارة للمعاش خوفا من العدو المتربص بهم حول المدينة، ومنها: أنهم قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد في

---

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢٧٣ .

(٢) ينظر مفاتيح الغيب ٨٥/٧، والمحرر الوجيز ٣٦٨/١

سبيل الله فعذرهم الله، ومنها: أنهم كانوا مشتغلين بطاعة الله عن سائر المهمات([1])، فكل هذه الوجوه مقبولة وداخلة في معنى الحصر، ولكن العبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل مَنْ حال بينه وبين القدرة على الكسب حائل داخل في معنى الحصر سواء كان من هذه الأسباب أم من غيرها، وهذا مفاد من الجملة الثانية "لا يستطيعون ضربا في الأرض".

والضرب هنا كناية عن السعي لتحصيل الرزق؛ لأنه لازم من لوازمه كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾([2])، فنفي استطاعتهم الضرب في الأرض مناسب لوصف ضعفهم وخوار قوامهم الذي يكون به السعي نحو طلب الرزق .

بعدما أبان عن عجزهم في ابتغاء الكسب والرزق، وصفهم بكمال حيائهم وتمام عفتهم عن تحصيل هذا الرزق من جهة سؤال غيرهم فقال: "يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف"، وهذا السبب هو أدعى لأحقية هؤلاء بالنفقة من غيرهم من الفقراء؛ لأن الفقير ربما كان لا يستطيع ضربا في الأرض لطلب الرزق، ولكن لا يتحرج من سؤال الناس والإلحاح عليهم حتى يحصل على مبتغاه، وهذا هو الغالب الأعم، أما هؤلاء فقد منعهم خور أجسادهم عن السعي لطلب الرزق، وحالت عفتهم عن بذلهم ماء وجوههم بالسؤال .

كما أن في قوله: "يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ "، إيماء للمؤمن بأن الأحرى أن يكون حصيفا أريبا ذا فراسة وحَدْس، فيعرف بما يتراءى له من قسمات الوجه وعموم المظهر حال كل محتاج، فإذا خال عليه شيء من ذلك بحث حتى يتثبت من وضع نفقته في موضعها الذي

(١) ينظر مفاتيح الغيب ٨٦/٧

(٢) سورة المزمل جزء من آية رقم ٢٠ .

هو أحرى بها، حتى لا يُضَيّع حق هؤلاء الفقراء المتعففين عن المسألة، وفي صيغة التفعل في قوله: "من التعفف" ما يفيد المبالغة من وصف تمنعهم من قبول إعانات غيرهم، فيُخيل للناظر أنهم أغنياء مع أنهم أحوج ما يكون.

وقوله: "**لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا**" الإلحاف: شدة الإلحاح في المسألة(١)، فيبدو من ظاهر نفى سؤالهم بإلحاح إثبات سؤالهم بغير إلحاح، وهذا يناقض وصفهم السابق بالتعفف؛ لأن المتعفف لا يسأل على أي حال، ومن هنا كان المراد بهذا الوصف التعريض بالذين يتسللون للناس ويقطعون طرقهم متبجحين بسؤالهم دون أدنى تحرج أو خجل، فمراد الآية _والله أعلم_ هو نبذ هذا النموذج في المجتمع الإسلامي، والحياد عنهم إلى من هم أحق منهم بالنفقات وأولى، ودعوة إلى التخلق بهذا الخلق الجليل عند العسر والحاجة (٢) .

وبالرجوع لقوله السابق: "**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ**" ووضعه بجانب قوله: "**لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا**" يتبين مقصد الحق _سبحانه_ من الدعوة إلى تهذيب النفوس ومنع ما يدعو إلى ما يوغل الصدور بين السائل والمسؤول، فدعا المسؤول بالقول المعروف والتسريح بإحسان دون أن ينهر السائل أو يعرض له بأي أذى، كما هو واضح في أمر الله نبيه (ﷺ) بقوله "وأما السائل

(١) اللسان ١٢/٢٥٠ مادة لحف .

(٢) وهذا ما دعا إليه النبي (ﷺ) بقوله: "والذي نفْسي بيدِه، لأَنْ يأخُذَ أحدُكم حبْلَهُ، ثم يَغْدو _أَحسِبُه قال:– إلى الجبلِ فيحتطِبَ على ظهرِهِ فيبيعَ، فيأكلَ ويتصدقَ، خيرٌ له من أنْ يأتيَ رجلاً فيسألَهُ، أعطاه أو منَعهُ" مختصر صحيح البخاري١/٤٣٤ .
وقوله أيضا: "عن حكيم بنِ حِزامٍ (ﷺ)عن النبي (ﷺ) قال: "اليدُ الْعُلْيا خيرٌ من اليدِ السُّفلى، وابدأْ بمن تَعُولُ، وخيرُ الصدقةِ عن ظَهْرِ غنىً، ومن يستعفَّ يُعفَّهُ الله ومن يَسْتَغنِ يُغنِهِ الله". مختصر صحيح البخاري ١/٤١٩

فلا تنهر"([1])، كما دعا المحتاج إلى التعفف عن السؤال، وإن كان لابد منه لفرط الحاجة فالأولى ألا يكون بإلحاح، وإنما يحسن أن يكون بالرمز والإيماء والإشارة في خفاء، فالطلب بالحسنى من جانب السائل والرد بالمعروف من جانب المسؤول أبقى على المودة والألفة بين أبناء المجتمع الإسلامي .

وفي ختام الآية بقوله: "وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ" دعوة إلى الإسرار لهؤلاء بالنفقات عند العثور عليهم، تتميما لما هم عليه من خفاء سترهم وحفظا لماء وجوههم؛ لأنه ليس من الإحسان أن يقابل اجتهادهم في إخفاء حالهم بفضح فقرهم وكشف عوزهم، كما أن تأكيد الكلام بإن والجملة الاسمية في قوله: " فإن الله به عليم"، فيه طمأنينة للمتحري حال هؤلاء بعلم الله بصدقته وخفائها، ووعد بمجازاته بخير الجزاء الذي أشار إليه سابقا بقوله : "وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم" .

١٤ـ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾([2])

تعد آية ختام الحديث عن النفقة بمثابة النتيجة التي سعت آيات الدراسة لترسيخها في نفوس أبناء شريعة الإسلام، وهذه النتيجة هي الحث على الإنفاق في وجوه الخير في أي زمان كان من ليل أو نهار، وعلى أي حال كان من سر أو إعلان، مع مراعاة ما سبقت الإشارة إليه من شروط لابد من توافرها في المعطي والمعطى له والعطية، فإذا ما راعى المرء ذلك استحق الجزاء الأوفى الذي ضَمِنَه الله له بقوله: ((فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

(١) سورة الضحى آية رقم ١٠

(٢) سورة البقرة، آية رقم ٢٧٤ .

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ))، ويلاحظ أنه ختم آيات الدراسة بما ختم به أولها(١)، فقال – بعد الآية التي مَثَّل فيها مضاعفة الأجر إلى سبعمائة ضعف–: "**ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ**"، فنص في البدء والختام على أن المنفقين الذين يخلصون النية لله ولا يتبعون نفقاتهم بمنٍ أو أذى ولا يحيل بينهم وبين الصدقات معوق في ليل أو نهار، نصّ على أن ضمان أجرهم على ربهم مع انتفاء حزنهم وخوفهم، ومجيء الفاء في قوله: "فلهم أجرهم"؛ للدلالة على السببية، أي استحقاق هذا الجزاء بسبب نفقاتهم التي راعوا شروطها، وابتغوا بها رضوان الله تعالى .

وقد أفاد بالطباق بين "الليل والنهار"، "والسر والعلانية" عموم الزمان وشمول الأحوال، فالزمان لا يخرج عن أن يكون ليلا أو نهار، والأحوال لا تخرج عن السر أو العلن، كما أفاد مع هذا العموم في المقابلة بين الليل والنهار الإيجاز، فالنهار ربما كان غدوة أو ضحى أو هاجرة أو أصيل، والليل ربما كان غسقا أو سحرا أو فجرا .

كما أن في تقديم الليل على النهار والسر على العلن ما يوحي إلى فضل صدقات السر على صدقات العلن، وهذا ما نصت عليه الآيات السابقة "وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم"، "وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم" .

(١) ينظر نظم الدرر ٤/ ١٠٨

الخـــاتمـــة

الحمد الذي تفضل على عباده بشريعة تكفل حق الفقراء، وتبث روح الترابط بين أبناء الإسلام، والصلاة والسلام على من كان أجود بالخير من الريح المرسلة، وآثر الناس قاطبة

وبعـــــد ،،،

فهذه بعض النتائج التي أُعِين الباحث على العثور عليها بعد رحلته التي عاشها في رحاب آيات الحديث عن النفقة في سورة البقرة، فمن أهم تلك النتائج .

١- انفردت سورة البقرة من بين سور القرآن الكريم باسترسال الحديث عن الإنفاق في سبيل الله (ﷻ)، ولعل السر في ذلك أنها أول ما نزل بالمدينة، فأراد الحق _سبحانه_ وتعالى من خلال الآيات التي استرسل فيها بالحديث عن النفقات أن يوطد العلاقات بين أفراد المجتمع الإسلامي الجديد، ويبث روح المودة والألفة والتعاون فيما بينهم، وقد تجلى هذا فيما فعله المصطفى (ﷺ) بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في مهد الدعوة إلى الله (ﷻ) .

٢- عنيت الآيات بوضع أسس تتعلق بالآداب التي لابد من مراعاتها بين السائل والمسؤول لضمان دوام المحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي، فطالبت السائل بحسن الطلب وعدم الإجحاف والإلحاف فيه، وألزمت المسؤول بحسن الأداء الخالي من شوائب الأذى، أو الرد بالقول المعروف والتسريح بإحسان .

٣- كان للتشبيه التمثيلي من بين الألوان البلاغية -في آيات الدراسة- أثر بالغ في بيان مراد الحق _سبحانه_، فأبان به عن صورة مضاعفة الجزاء في مثلين، الأول في قوله: (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ)، والثاني في قوله: (وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ)، كما أبان به عن

صورة محق الجزاء في مثلين أيضا، الأول في قوله: (فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ)، والثاني في قوله: (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ)، فأثار وازع الترغيب في الإنفاق في سبيل الله بالمثلين الأولين، كما أثار وازع الترهيب والتنفير من ابتغاء غير وجه الله بالمثلين الآخرين .

٤_ كما بدا أثر الطباق _من بين ألوان البديع_ واضحا من خلال وضع الصور المتضادة أمام المخاطب كي يدرك الفارق بينها، ويتخير الأمثل منها، فطابق بين من ابتغى بصدقاته وجه الناس بالرياء _﴿ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ – وبين من ابتغى بها وجه الله –سبحانه–﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ –، وبين وعد الله –سبحانه– ووعد الشيطان – ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ ﴾–، وبين إبداء الصدقات وإخفائها– ﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾–.

٥– ارتباط الحديث عن النفقة بالحديث عن الموت والبعث في عدة سياقات من سورة البقرة خاصة، مما يدعو إلى تأكيد مفاد آيات الدراسة التي وعدت الممتثل لمراد الله منها بالجزاء الأوفى في الدنيا والآخرة، وتأكيد الوعيد للمتهاون بمحق جزاء وذهابه هباء منثورا .

٦– اتضح ترابط مطلع السورة بمقاصدها التي تضمنتها، والتي منها الحديث عن الصدقات مما يؤكد تناسق النظم القرآني وترابط أغراضه .

٧- تفاوت مقدار الجزاء لكل متصدق بمقدار مراعاة الشروط التي يجب توافرها عند بذله، وذلك من جهة ابتغائه بصدقاته وجه الله (ﷻ)، وتحريه الحلال الطيب، وإيثاره الأحق بها من الفقراء، وعلى رأسهم الضعفاء المتعففين عن المسألة .

٨-ميزان الجزاء عند الله لا يشترط فيه عظم العطية، فالجزاء كائن على القليل كما هو محقق على الكثير شريطة أن يراعى فيها مسوغات القبول .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- إعراب القران الكريم وبيانه، تأليف محي الدين الدرويش دار الإرشاد للشؤون الجامعية (حمص_ سورية) الطابعة الثالثة ١٤١٢هـ_ ١٩٩٢م

٣- تفسير التحرير والتنوير للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية (تونس) ١٩٨٤

٤- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين الطابعة الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م، دار الفكر (لبنان_ بيروت)

٥- الجني الداني في حروف المعاني، صنعه: الحسن بن قاسم المُرادي، ت: د فخر الدين قباوه، أ.محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية (بيروت _ لبنان)، الطبعة الأولى : ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م

٦- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، أ .د /محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة (عابدين _ القاهرة) ، الطبعة الثامنة ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٩ م .

٧- دراسة في البلاغة والشعر أ.د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة (القاهرة) الطابعة الأولى ١٤١١هـ -١٩٩١م

٨- دلالات التراكيب دراسة بلاغية، أ.د محمد أبو موسى، مكتبة وهبة(عابدين_القاهرة)، الطابعة الرابعة ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م

٩- روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، تحقيق على عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية (لبنان - بيروت)

١٠- شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي، حققه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه

وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

١١- الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء أ . د / محمد محمد أبو موسى، الطبعة الثانية ١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢ م ، مكتبة وهبة (عابدين _ القاهرة)

١٢- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ٢٠٢٦/٤، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث (القاهرة) الطابعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م

١٣- كتاب الأدب المفرد للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق سمير بن أمير الزهيري، مكتبة المعارف (الرياض) الطابعة الأولى ١٤١٩هـ_ ١٩٩٨م

١٤- كتاب البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - (بيروت) ١٤٢٠ هـ

١٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الجواد، الشيخ على محمد معوض، أ.د فتحي حجازي، مكتبة العبيكان (الرياض) الطابعة الأولى ١٤١٨هـ_ ١٩٩٨م.

١٦- لسان العرب لابن منظور، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصاوي العبيدي، دار التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي.

١٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية تحقيق/ عبدالسلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية (بيروت- لبنان) الطابعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٨- مختصر صحيح البخاري للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف (الرياض)، الطابعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م

١٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة).

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

سورة : (البقرة)

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ألم ذلِكَ الْكِتابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِين... ﴾	١، ٢، ٣، ٤،٥	١٧٣٤
﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ...﴾	٢٤٣	١٧٣٦
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً...﴾	٢٤٥	١٧٣٥، ١٧٣٦
﴿ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ..﴾	٢٥٣	١٧٣٦
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ..﴾	٢٥٤	١٧٣٥، ١٧٣٦
﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾	٢٦١	١٧٣٥، ١٧٣٨، ١٧٣٩، ١٧٧٣
﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ..﴾	٢٦٢	١٧٤١، ١٧٤٣ ١٧٧٣، ١٧٨١
﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذىً ﴾	٢٦٣	١٧٤٦، ١٧٧٩
﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى﴾	٢٦٤	١٧٤٧، ١٧٤٨ ١٧٥٠، ١٧٨٣
﴿ومثل الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ﴾	٢٦٥	١٧٥٢، ١٧٨٢ ١٧٨٣
﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنابٍ﴾	٢٦٦	١٧٥٦، ١٧٨٣
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ مَا كَسَبْتُمْ .. ﴾	٢٦٧	١٧٤٠، ١٧٤١ ١٧٦١
﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾	٢٦٨	١٧٦٤، ١٧٨٣

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ﴾	٢٦٩	١٧٦٦
﴿ وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾	٢٧٠	١٧٦٩
﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾	٢٧١	١٧٧١، ١٧٨٣
لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ	٢٧٢	١٧٧٣، ١٧٧٤
﴿ لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	٢٧٣	١٧٤١، ١٧٧٧
﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾	٢٧٤	١٧٧٣، ١٧٨٠

سورة : (آل عمران)

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ ﴾	١١٦	١٧٥٩، ١٧٦٠
﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ ﴾	١١٧	١٧٥٩

سورة : (المائدة)

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَقالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾	٧٢	١٧٧٠

سورة : (إبراهيم)

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾	١٥	١٧٥١
﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ ﴾	١٨	١٧٥١

سورة : (العنكبوت)

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾	٦٩	١٧٤٥

سورة : (سبأ)

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾	٣٠	١٧٦٢

سورة : (يس)

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَنَكتبُ ما قَدَمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾	١٢	١٧٤١

سورة : (المزمل)

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ﴾	٢٠	١٧٧٨

سورة : (المنافقون)

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ.. ﴾	١٠	١٧٣٦

سورة : (الفجر)

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَتُحِبُّونَ الْمالَ حُبًّا جَمًّا﴾	٢٠	١٧٣٨

سورة : (الضحى)

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وأما السائل فلا تنهر﴾	١٠	١٧٨٠

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية

مطلع الحديث	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَدِّمُ شَيْئًا، وَلاَ يُؤَخِّرُ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنَ الْبَخِيلِ ﴾	١٧٧٠
﴿ إياكُم والشُحَّ فَإِنَّهُ أَهلكَ مَن كَانَ قَبلَكُم ... ﴾	١٧٦٥
﴿سبعةٌ يُظلُّهم اللهُ في ظلِّهِ، يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه: الإمامُ العادلُ... ﴾	١٧٧٢
﴿السر أفضل من العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء﴾	١٧٧٤
﴿قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ...﴾	١٧٧٥
﴿ لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ" ﴾	١٧٤٠
﴿ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ ... ﴾	١٧٣٩
﴿والذي نفْسي بيدِه، لأَنْ يأخُذَ أحدُكم حبْلَهُ، ثم يَغْدو...﴾	١٧٧٩
﴿ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا... ﴾	١٧٤٢
﴿اليدُ الْعُلْيا خيرٌ من اليدِ السُّفلى، وابدأْ بمن تَعُولُ ...﴾	١٧٧٩

فهرس البحث

الموضـــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	١٧٣١
التمهيد	١٧٣٤
المحور الأول: التوطئة للحديث عن النفقة ببيان صورة مضاعفة أجر المنفقين في سبيل الله (ﷻ) .	١٧٣٨
المحور الثاني: بيان أوصاف المستحقين لمضاعفة الجزاء من الله (ﷻ)	١٧٤٣
المحور الثالث: بيان ما يشترط في العطية، من أمور تمنحها القبول من الله (ﷻ)	١٧٦١
المحور الرابع: الكشف عن أسباب إعراض النفس عن البذل في سبيل الله، وسُبل النجاة منها	١٧٦٤
المحور الخامس: الكشف عن الموطن التي هي أولى بالصدقات	١٧٧٧
الخاتمة	١٧٨٢
المصادر والمراجع	١٧٨٥
فهرس القرآن	١٧٨٧
فهرس الحديث	١٧٩٠
فهرس البحث	١٧٩١